

أثر دبلوماسية القوة الناعمة في العلاقات الدولية الصين نموذجاً خلال سنوات (٢٠١٢/٢٠٢٢م)

محمد الراوي

ملخص

تعرف الدبلوماسية على أنها علم العلاقات القائمة بين الدول، وتُعدّ القوة الناعمة أحد المبادئ الأساسية للدبلوماسية، لذلك كثيراً ما يتم تعريف القوى الناعمة كأحد أهم مكونات القوة التي أصبحت تعتمد عليها مختلف الجهات الفاعلة الدولية، حيث تعمل كأداة تأثير لحثّ الدول على تبني نموذج قيمي آخر، دون اللجوء إلى أساليب التهديد أو الضغط العسكري التقليدي، وهذا يعني أن "الإقناع" هو الأساس الذي يستند إليه نجاح تطبيق مفهوم القوة الناعمة، ويرى الباحثون أن أدوات القوة الناعمة تشتمل على ثلاث أدوات وهي الثقافة والسياسة الخارجية والقيم السياسية، ومن أبرز نماذج دراسة القوة الناعمة هو النموذج الصيني الذي خطط منذ عقود مضت على استثمار أدواته وتسويق سياساته المختلفة عن النموذج الغربي مستفيداً في ذلك من إرثه الحضاري الممتد عبر التاريخ ومن قوته الاقتصادية المتنامية حاضراً وتشاركية توجهاته المستقبلية مع مختلف الحكومات والشعوب بمختلف الدول، وتسلبت هذه الدراسة الضوء على رؤية وأوجه دبلوماسية القوة الناعمة الصينية حيث شعار السلام والتنمية والتعاون، كما تُظهر الدراسة كيف حرصت الصين عبر أدوات قوتها الناعمة على ترسيخ الصورة الذهنية الإيجابية عنها كمؤثر دولي يتسم بالحكمة وضبط النفس عند تناوله مختلف الشؤون الدولية بما يحقق توازن المصالح الوطنية للدولة مع شركائها حول العالم مواكبة في ذلك استراتيجيتها التنموية الشاملة عبر المسار السلمي، وبما يساعدها أيضاً على تخفيف الضغوط التي تواجهها في بعض الملفات الداخلية، وكيف توازن بين التزامها بمبادئ التعايش السلمي وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى في الوقت نفسه الذي تُظهر قدرتها العالية في التكيف مع المتغيرات المتسارعة واقتناص الفرص المناسبة لتسويق نموذجها، وخاصة في الفترة التي شهدت مجموعة من التحولات الاقتصادية والسياسية في مختلف مناطق العالم ومن ذلك المنطقة العربية بالتزامن مع الأحداث التي يصفها بعض الباحثين بالربيع العربي أو بالتزامن مع جائحة كورونا مستفيدة في ذلك من عوامل جيوسياسية واقتصادية وثقافية مختلفة لتعزيز قدراتها وتأكيد ريادتها المستقبلية بعيداً عن النموذج الاستعماري التقليدي الذي يعتمد القوة العسكرية التقليدية في فرض سيطرته على مراكز صناعة القرار.

الكلمات المفتاحية:

القوى، القوة الناعمة، الدبلوماسية، الصين

المقدمة:

تعدّ الدبلوماسية واحدة من أكثر الوسائل فعالية للتأثير في إدارة العلاقات الدولية، ومع حركة التسارع والتطور المعرفي والتقني والفني في القرنين التاسع عشر والعشرين ظهرت قنوات جديدة لتعزيز التواصل الدبلوماسي بين مختلف البلدان خاصة تلك التي تُصنّف أنها دول كبرى أو فاعلة في الساحة السياسية والاقتصادية على المستوى الدولي مستندة في ذلك على قدرتها في التأثير من خلال منتجاتها التقنية أو الثقافية أو أدواتها المالية وأذرعها الاستثمارية كأسلوب من أساليب التواصل المستدام مع مختلف شرائح المجتمع المستهدف، وبهذا دخلت الدبلوماسية الكلاسيكية مجالاً جديداً، وهو مجال الدبلوماسية العامة حيث بات ملاحظاً تنامي اهتمام العديد من الدول بهذا النمط من الدبلوماسية، وسنتناول في بحثنا هذا ما يسلط الضوء على التجربة الصينية في هذا المجال باعتبارها قوة دولية صاعدة تبذل جهوداً كبيرة في مجال الدبلوماسية العامة منذ سبعينيات القرن العشرين مستندة في ذلك على إرثها الثقافي والحضاري الممتد عبر قرون من التاريخ، وكذلك سعيها الحثيث لتكون واحدة من أكبر القوى الاقتصادية في العالم، إيماناً منها بما يشكله ذلك في كسب مزيد من التأييد في الرأي العام العالمي ومراكز صناعة القرار.

مشكلة البحث

يسعى البحث إلى تسليط الضوء على دبلوماسية القوة الناعمة في العلاقات الدولية بشكل عام والصين بشكل خاص، حيث تشهد الصين تنامياً مستداماً بمختلف المجالات وتواجداً دولياً أوسع يهدف لتأكيد فاعليتها كقوة عظمى ومؤثرة عبر سياستها الخارجية، وبالتالي أصبح تعزيز الدبلوماسية العامة جزءاً مهماً من دبلوماسيتها المتكاملة وقدرتها على التأثير الإقليمي والدولي من خلال إيصال رؤيتها وتصورها للقضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولترسيخ الصورة الذهنية الإيجابية عنها كمؤثر دولي يتسم بالحكمة وضبط النفس عند تناول مختلف الشؤون الدولية لتحقيق توازن المصالح الوطنية للدولة مع شركائها حول العالم مواكبة في ذلك استراتيجيتها التنموية الشاملة عبر المسار السلمي، وبما يساعدها أيضاً على تخفيف الضغوط التي تواجهها في بعض الملفات الداخلية خاصة ما يتعلق بحقوق الإنسان والحريات.

ويمك طرح السؤال الأساسي للبحث على الشكل التالي:

ما أثر دبلوماسية القوة الناعمة للصين في علاقاتها الدولية؟

ويشتق من هذا التساؤل عدة تساؤلات فرعية وهي:

ما هي أدوات القوة الناعمة الصينية؟

ما هي حدود القوة الناعمة الصينية؟

ما هي آثار القوة الناعمة الصينية في العلاقات الدولية؟

أهمية البحث

تساعد هذه الدراسة على تعزيز فهم الباحثين والمهتمين بدراسة مجال دبلوماسية القوة الناعمة في العلاقات الدولية، وتفتح الباب أمام المزيد من البحوث والدراسات المتخصصة ذات الصلة بموضوع الدراسة. وتبرز أهمية البحث كونه يناقش دبلوماسية القوة الناعمة وأثرها في العلاقات الدولية حيث يركز هذا المجال على مفهوم جديد نسبياً يبرز في استراتيجيات

الدول التي تستخدم وسائل الإعلام والأدوات الثقافية والموارد الاقتصادية لتنفيذ أهداف سياستها الخارجية لتحقيق أهدافها الخاصة، ولتعزيز استيعاب هذا المفهوم تتناول هذه الدراسة النموذج الصيني خلال الفترة من ٢٠١٢م إلى ٢٠٢٢م كقوة عالمية صاعدة سياسياً ورائدة في تطبيق آليات القوة الناعمة في أكثر من منطقة من مناطق العالم حساسية بالنسبة للقوى العظمى.

أهداف البحث

- ١- التعرف على مفهوم القوة الناعمة
- ٢- التعرف على أدوات القوة الناعمة الصينية
- ٣- التعرف على آثار القوة الناعمة الصينية في العلاقات الدولية
- ٤- التعرف على حدود القوة الناعمة الصينية

متغيرات البحث

المتغير التابع: القوة الناعمة الصينية

المتغير المستقل: العلاقات الدولية

فرضيات البحث

الفرضية التي تهدف الدراسة إلى إثباتها هي:

أثرت دبلوماسية القوة الناعمة التي استخدمتها الصين إيجاباً على علاقاتها الدولية خلال السنوات (٢٠١٢-٢٠٢٢م).

منهج البحث:

تم استخدام المنهج الوصفي والتحليلي التي تعرف بأنها المنهجية التي تدرس خصائص ظاهرة أو حدث أو قضية، ويمكن الحصول منها على معلومات تجيب على أسئلة البحث بحيادية واستقلالية علمية، عبر تحليل البيانات والمعلومات المتوفرة، وبيان العلاقة بين المتغيرات المقترحة، والعمليات التي تتضمنها والآثار التي تحدثها، وصولاً إلى تحقيق أهداف البحث واختبار صحة فرضياته وتفسير نتائجه.

الدراسات السابقة

١) دراسة (د. وداد حماد مخلف، أ.د. حسين علي عبد، أ.د. أعياد عبد الرضا عبد الله، ٢٠٢١) بعنوان: القوة الناعمة الصينية وآثارها على الدول العربية، الخليج العربي (نموذجاً)، هدف البحث إلى دراسة القوة الناعمة الصينية وآثارها على واحدة من أهم المناطق العالم وكانت منطقة الخليج العربي نموذجاً للبحث، وقد تبين أنه من خلال القوة الناعمة يمكن لدولة ما اختراق دول أخرى عن طريق مجموعة متنوعة من الأدوات دون اللجوء إلى القوة الصلبة.

٢) دراسة (Wang H.lu : ٢٠٠٨)، بعنوان: فكرة القوة الناعمة وتطبيقاتها: دراسة مقارنة بين الصين وتايوان، حيث أظهرت هذه الدراسة كيف تفهم الصين وتايوان القوة الناعمة ومصادرها وكيف تختلف عن تعاليم المؤسس؛ يناقش المصطلح المشترك (جوزيف ناي) والدراسة كيف أصبحت القوة الناعمة جانباً من جوانب المعاملة الصينية والتايوانية ويبحث تأثيرها على سياسات كل من البلدين؛ وتختتم الدراسة بذكر محددات فكرة القوة الناعمة.

٣) دراسة (٢٠٠٨: wilson.ej) بعنوان: القوة الصلبة، القوة الناعمة، القوة الذكية؛ تم نشر هذه الدراسة في المجالات الأكاديمية الأمريكية للعلوم السياسية والاجتماعية، وتتجاوز هذه الدراسة القوة الناعمة والقوة الصلبة لتؤكد على مفهوم القوة الذكية، التي تعتمد على مزيج من القوة الناعمة والصلبة بطرق يعزز بعضها البعض، كما تناقش الدراسة القوة الذكية كأساس للأمن القومي في ضوء التغيرات الهيكلية العالمية وإخفاقات الإدارة الأمريكية الحالية والمناقشات الحالية حول الدبلوماسية العامة.

وبالتالي يمكن أن تكون هذه الدراسة إضافة نوعية إلى الدراسات السابقة لتعزيز محاولة الفهم الشامل للقوة الناعمة الصينية كنموذج ملهم للدول العربية، وتوضيح أبرز ملامح وأدوات هذه القوة المتصاعدة، وكيف أثمر التوازن الحكيم للنموذج الصيني في استثمار التاريخ الحضاري والمستقبل الاقتصادي في خلق حاضر مشترك مع مختلف الثقافات ونماذج الحكم في مختلف دول العالم في تميز واضح عن النموذج الغربي التقليدي الذي يتسم بسياسة فرض الواقع أو التصادم المباشر أو التباين الواضح في المواقف عند اختلاف المصالح أو تضاربها.

المبحث الأول: ماهية وتعريف القوة الناعمة وأدواتها

المطلب الأول ماهية القوة الناعمة

يعتبر مفهوم القوة من أهم المفاهيم الأساسية التي يمكن الاعتماد عليها والاستفادة منها عند تفسير العلاقات الدولية لفهم حركة التفاعلات الدولية ومواقف مختلف الفاعلين الدوليين، سواء كانوا دولاً أم لا وتحليل تلك المواقف وشخص الفاعلين الدوليين ونقاط قوتهم وضعفهم، ويلحظ الراصد لحركة التاريخ السياسي لنهضة الأمم وسيادة الدول تطور مفهوم القوة وتنوع توجهاته عبر التاريخ، بدءاً من القوة العسكرية التقليدية، والقوة الاقتصادية، والقدرة على الإقناع والتأثير، وترجمة ذلك إلى إرث ثقافي أو حضاري وصولاً إلى العصر الحديث وظهور التقنيات الحديثة وما تتركه من آثار على العالم، وتجدر الإشارة إلى أن استخدم مفهوم القوة الناعمة أخذ في الظهور اصطلاحياً لأول مرة في عام ١٩٩٠ من قبل المفكر الأمريكي جوزيف ناي في حقبة ما بعد الحرب الباردة، حيث يشير هذا المفهوم الذي صاغه ناي في حينه، إلى قدرة الدولة على اكتساب مزايا أو تأكيد المصالح دون اللجوء إلى المكونات الأخرى للنظام، حيث يمكن أن يكون ذلك ممكناً حين تتضمن الأجندة السياسية للدولة القدرة على تحديد أولويات الآخرين من خلال تطبيق الشخصيات الجذابة، والتأثير الثقافي، ونشر القيم السياسية، واستخدام المؤسسات المجتمعية لترسيخ القيم المنشودة حيث تسمح هذه القنوات والأدوات بقوة ناعمة لأي دولة بغزو دولة أو مجموعة دول أخرى أو التأثير على صناعة القرار فيها دون اللجوء إلى القوة الصارمة أو القوة العسكرية التقليدية.

ويمكن ملاحظة ذلك في حقيقة ما يتم استخدامه في سباق السياسة العالمية بين الدول العظمى أو تلك المتصدرة لقيادة الرأي العام العالمي، كما يمكن ملاحظة أثر استخدام تلك الأدوات من خلال اعتماد أو تبني العديد من البلدان أو الدول النامية لنموذج الدولة العظمى الذي يمثلونه سياسياً واقتصادياً وثقافياً وفي مختلف مناحي الحياة الاجتماعية، حيث تعمل القوة الناعمة كأداة تأثير لحث الدول على تبني نموذج قيمي آخر، دون اللجوء إلى أساليب التهديد أو الضغط العسكري

^١ وداد حماد مخلف، حسن عبد الراوي، اعياد عيد رضا، القوى الناعمة الصينية وتأثيرها على الدول العربية، مجلة الآداب، ملحق العدد ١٣٦، كلية التربية للعلوم الانسانية، ٢٠٢١م، ص ١٤

التقليدي، وهذا يعني أن عنصر الإقناع هو الأساس الذي يستند إليه نجاح تطبيق مفهوم القوة الناعمة القائم على أساس السلطة.^٢

إن فكرة الإقناع في سياق القوة الناعمة كمفهوم اصطلاحى يتضمن سياسة النفس الطويل لتحقيق أهداف التغيير الرسمي والتحول في المواقف حيث قد يتطلب الأمر تغييراً في القيم التي تتبناها المجتمعات كلياً أو جزئياً وقد تكون موروثاً تدافع عنه تاريخياً، وهذا يعني أهمية خلق مناخ بيئي تتقارب فيه خريطة تكامل المصالح لضمان تغيير السلوك من حالة إلى أخرى من خلال عناصر الجذب التي تؤمن بها الدول أو المجتمعات المستهدفة، حيث تمثل هذه القيم العلاقات التاريخية والثقافية بين الدول داخل وخارج إطار السياسة العامة من خلال تطبيق أسلوب الإصلاح الذاتي للدولة والأمة^٣، ولذلك اعتمد بعض المفكرين والباحثين مفهوم القوة الناعمة كأهم مكون للقوة في المرحلة الحالية، حيث يلاحظ مدى اعتماد مختلف الجهات الفاعلة الدولية المتنامي عليها أكثر فأكثر، لتصبح أحد الأسس الرئيسية للسلطة التي تعتمد عليها الكثير من دوائر صناعة القرار في الدول التي تحاول الحصول على مكانة رائدة على الساحة الدولية، بما في ذلك الصين والهند وتركيا وإسرائيل وغيرها.

المطلب الثاني تعريف القوة الناعمة

يميل بعض الباحثين عند تعريف القوة الناعمة إلى أنها: القدرة على خلق الجاذبية والتأثير لتوجيه القرارات العامة وفقاً للأنظمة الاجتماعية والثقافية ومنظومات القيم ومؤسساتها، بدلاً من الاعتماد على الإكراه أو التهديد، وبهذا يمكن تحقيق المستهدفات عبر انتشار الجذب بعدة طرق، بما في ذلك الثقافة الشعبية والدبلوماسية الخاصة والعامة والمنظمات الدولية وجميع الشركات العاملة والمؤسسات التجارية^٤، فيما يرى آخرون بأنها القدرة على الحصول على ما يراد دون إكراه، أي القدرة على التأثير في سلوك الآخرين لتحقيق النتائج والغايات المرجوة دون الحاجة إلى الإفراط في استخدام العوامل والوسائل التقليدية عسكرياً أو سياسياً^٥، ويذهب بعض المختصين لتبسيط تعريفها على أنها القدرة على استخدام الجاذبية لتحقيق النتائج المرجوة، كما يركز بعض الباحثين على توصيف القوة الناعمة بأنها ما يجعل الآخرين يريدون ما تريد من خلال الموارد غير الملموسة مثل الجاذبية الثقافية والقيم السياسية^٦

ويلاحظ توافق معظم الباحثين والمختصين عند تناول أو مناقشة تعريف القوة الناعمة أن من أهم أدواتها أو قنواتها: الثقافة (عند جذب الآخرين)، والقيم السياسية (عند تطبيقها بصدق في الداخل والخارج)، والسياسة الخارجية (عندما يراها الآخرون على أنها شرعية وسلطوية وأخلاقية).^٧

^٢ Laboratory for -of Algeria Arab Relations: The Case-Belkacem Ben Daifallah,, Report on the Symposium on Sino

^٣ شريفة فاضل محمد بلاط، "الهوية الثقافية وتأثيرها على العلاقات الصينية الأفريقية"، مجلة كلية السياسية والاقتصاد، العدد العاشر، إبريل ٢٠٢١، ص ١٢

^٤ وداد حماد مخلف، حسن عبد الراوي، اعياد عيد رضا، القوى الناعمة الصينية وتأثيرها على الدول العربية، مجلة الآداب، ملحق العدد ١٣٦، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠٢١، ص ١٢٢

^٥ ناي جوزيف، القوى الناعمة، مكتبة الكعبيان للنشر، الطبعة الثانية، الرياض، ٢٠٠٧، ص ٩٥

^٦ عائشة منافح، محددات السياسة الخارجية للصين في الشرق الأوسط بعد الحركة العربية، بحث منشور في مجلة البحوث -منشورات مؤسسة خالد حسن، مركز الدراسات والبحوث - الرباط، المجلد الأول، ٢٠١٤، ص ١٦

^٧ اياد خلف عمر العقود، استراتيجية القوة الناعمة ودورها في تنفيذ أهداف السياسة الخارجية في المنطقة العربية، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٦، ص ٣١٢

المطلب الثالث: أدوات القوة الناعمة الصينية

أولاً: الثقافة

جذب تبني القوة الناعمة من قبل الدولة الانتباه الفكري إلى حقيقة أن الثقافة تُعدّ من أهم موارد السلطة، وقد تبني القادة الصينيون هذا الرأي، مما أدى إلى زيادة الأموال المخصصة لتطوير القوة الناعمة في الثقافة الصينية، حيث كان توسعها في الخارج أمراً بالغ الأهمية، وتتكون الثقافة الصينية المعاصرة من عناصرها الأساسية الثلاثة المتمثلة في الثقافة الصينية التقليدية، والأيدولوجية الشيوعية، ومؤخراً القيم الغربية^٨، وتأتي القيم الثقافية التقليدية بشكل أساسي من الكونفوشيوسية والطاوية ثم البوذية، حيث تعد مصدراً لعلاقات الأقاليم الصينية مع بعضها البعض.

وبما أن القوة الناعمة أصبحت السمة الرئيسية لسياسة الصين الخارجية، فإن الثقافة تلعب دوراً مهماً في استراتيجية تقديم الصين للعالم الخارجي كدولة ذات تاريخ وثقافة لا مثيل لهما^٩، حيث تتمتع الثقافة الشعبية الصينية بإرث حضاري يمنحها سهولة الوصول إلى الثقافة العالمية، من خلال السياحة والأفلام الوثائقية أو السينما وأشكال الترفيه الجماعي الأخرى، ويمكنها من نشر أفكارها كشكل من أشكال الثقافة العليا، والتعبير عن القيم العالمية، حيث يتجلى هذا الاهتمام مع افتتاح العديد من صالات العرض والمسارح لتسليط الضوء على العناصر الرئيسية لنجاح الصين العالمي، وهذه العناصر العديدة قد لا تدار مباشرة من قبل الحكومة ولكنها تتبع سياساتها بشكل متناسق، وتشمل هذه العناصر الفن والسينما والتلفزيون والموسيقى والرياضة، وبسبب الاستراتيجية الثقافية للصين ازداد عدد معاهد كونفوشيوس بشكل سريع لتتجاوز ٥٠٠ معهد في العالم، بما في ذلك سبعة عشر معهداً في الشرق الأوسط وإفريقيا، هذا فضلاً عن عدد الطلاب الأجانب الذين يدرسون في الجامعات الصينية بدعم من الحكومة الصينية، حيث لوحظ تنامي ارتفاع عدد الطلاب في الصين ليصل إلى أكثر من ١٤٠,٠٠٠ طالب^{١٠}.

ويلاحظ الراصدون انتشار وسائل الإعلام المطبوعة والتلفزيون والموسيقى والطعام والثقافة الشعبية الصينية في جميع أنحاء آسيا بمعدل غير مسبوق وبمختلف اللغات التي تتوافق مع المجتمعات المستهدفة مما يعكس تقدير الصين المتزايد للقوة الناعمة في توزيع جهودها لنشر الثقافة الصينية في جميع أنحاء المنطقة، كما يلحظ الباحثون في الوقت نفسه كيف تخطو الصين خطوات واسعة في محاولة تعليم الأجيال القادمة من المثقفين والنخب السياسية من جميع أنحاء العالم في جامعاتها ومدارسها الفنية، حيث تنظر الصين بشكل متزايد إلى التعليم كأداة للسياسة الخارجية^{١١} وسيلحظ الباحث أن الثقافة الصينية دخلت الآن ما يسمى بمرحلة "حلم الصين" هدفها التعليمي هو أن تظهر للعالم الصورة الثقافية المعاد بناؤها للصين^{١٢}.

ثانياً: السياسة الخارجية

^٨ شريفة فاضل محمد بلاط، "الهوية الثقافية وتأثيرها على العلاقات الصينية الأفريقية"، مجلة كلية السياسية والاقتصاد، العدد العاشر، إبريل ٢٠٢١، ص ١٤

^٩ إيد خلف عمر العقود، استراتيجية القوة الناعمة ودورها في تنفيذ أهداف السياسة الخارجية في المنطقة العربية، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٦ م، ص ٢٥٢

^{١٠} عراقي محمود، "الوجود الصيني في أفريقيا: رؤية تحليلية للعلاقات الصينية الأفريقية"، آفاق أفريقية، المجلد ١٢، العدد ٤١، ديسمبر ٢٠١٤، ص ١٩

^{١١} ١. operation and Development), Education in China A SNAPSHOT, -OECD (Organisation for Economic Co
Paris, ٢٠١٦.

^{١٢} شريفة فاضل محمد بلاط، "الهوية الثقافية وتأثيرها على العلاقات الصينية الأفريقية"، مجلة كلية السياسية والاقتصاد، العدد العاشر، إبريل ٢٠٢١، ص ٦٣

يرى الباحثون أن صعود الصين كقوة سياسية واقتصادية أجبر مراكز صناعة القرار في البلاد على التفكير في استثمار قوتها الناعمة، حيث تم ترجمة هذه التوجهات الاستراتيجية لتؤدي دورها الجديد انطلاقاً من تفكير استراتيجي دقيق وأسباب وقائية ودفاعية تتطلب القيام بمجموعة من المهام الملحة لتسهيل صعود الصين كدولة من الدول الرائدة في استخدام أدوات وقنوات القوة الناعمة^{١٣}.

وتتضمن التوجهات الاستراتيجية لتسويق السياسات الصينية إظهار التزام الصين الدائم بمبادئ التعايش السلمي وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، وقد كافأت الصين بالصدقة العديد من الدول كما تطالب الصين بمعاملة جميع الدول التعامل بالمثل بغض النظر عن الحجم والثروة على قدم المساواة من حيث أسلوب حياتهم والتعامل مع ملفاتهم الداخلية، وتشدد على أن السلام والتنمية يجب أن يكونا أكبر التحديات في عالم اليوم وأن التنمية يجب أن تكون من أولويات الدول النامية^{١٤}.

ولذلك بات ملاحظاً ما أنشأته الصين من نموذج واضح للدبلوماسية العامة يركز في تطبيقه على التواصل مع الناس وليس فقط اقتصار التواصل مع حكومات الدول المستهدفة لضمان إرساء موقف وطني متجانس حكومياً وشعبياً لإضفاء مزيد من الشرعية وذو مصداقية عالية، ولهذا يتم إضافة بعض البنود على جدول أعمال الدبلوماسية العامة الصينية لما تتضمنه من تطوير للعلاقات الخاصة مع أفراد ومجموعات محددة من خلال المؤتمرات والبرامج البحثية والأنشطة الاقتصادية والمعارض والفعاليات الأخرى^{١٥}.

ويعتمد الباحثون إلى تلخيص أبرز ملامح وتوجهات استراتيجية القوة الناعمة للصين في علاقتها الدولية وفقاً لما يلي:

- تعظيم الناتج الاقتصادي لا سيما في التجارة، دون محاولة فرض نشر الأيديولوجية السياسية الصينية أو استعمار الشعوب الأخرى.
- استمرار إعلان رفض الحلول العسكرية لتسوية النزاعات بين الدول كخيار أول في ظل تشابك المصالح على نطاق عالمي، وأهمية طمأنه العالم بأن الصين لن تستخدم نموها الاقتصادي لتحقيق أهداف التوسع العسكري والسيطرة على الدول الأخرى.
- التأكيد الدائم في الوثائق الرسمية على مفاهيم الحلول السلمية والاستقرار الداخلي والتعايش والسلام العالمي والتنمية البشرية والاقتصادية المستدامة والمنفعة المتبادلة، ورفض استخدام المصطلحات الغربية المتعلقة بالهيمنة والإمبريالية والاستعمار الجديد وغيرها^{١٦}.
- المشاركة المستمرة والجادة في تعزيز الجهود الدولية من أجل مواجهة تحديات الأزمات العالمية في العديد من المجالات، بما في ذلك القضايا البيئية والاحتباس الحراري والتنمية والتحصن ونقص الغذاء وإدارة الكوارث الطبيعية.

^{١٣} عدنان خلف حميد البدراني، أثر الاستمرارية والتغيير في السياسة الخارجية الصينية تجاه الشرق الأوسط وعملية السلام، المجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد ٤٩، ٢٠١٥ م، ص ٣٣

^{١٤} ndscape, Royal Institute of International Zha Daojiong & Michal Meidan, China and the Middle East in a New Energy La Affairs, Chatham H St James's Square, London, ٢٠١٥، ص ٣٧٠.

^{١٥} Charlene Tan and Salih Heron, Education Reform in China: Towards Classroom Societies, October article ٢٠١٦، ص ٩٧٠.

^{١٦} عراقي محمود، " الوجود الصيني في أفريقيا: رؤية تحليلية للعلاقات الصينية الأفريقية "، آفاق أفريقية، المجلد ١٢، العدد ٤١، ديسمبر ٢٠١٤

- الحرص على تسويق الصين لنفسها أمام الدول النامية كدولة نامية أيضاً وإن كانت ذات قدرات اقتصادية كبيرة وعسكرية متطورة تؤهلها للقيام بدور مركزي في النظام العالمي الجديد.^{١٧}

ثالثاً: القيم السياسية

يرصد باحثوا النموذج الصيني الانتقادات الغربية الموجهة إلى الصين عندما يتعلق الأمر بالقيم السياسية كنتيجة لدراسة بعض الملفات الداخلية مثل انخفاض مستويات حرية التعبير، والجدل حول مستوى حرية الأديان، ومنح مواطنيها حقوقهم السياسية والمدنية الأخرى، ولذلك يرى بعض الباحثين بأن هذه الانتقادات المتجددة هي نقطة التحدي الرئيسية التي لا تزال تواجه تنامي القوة الناعمة الصينية إعلامياً، ويضاف لذلك العديد من المشاكل التقليدية في الدول النامية مثل الفساد والرقابة وعدم تكافؤ الفرص والطبقية المجتمعية ومستوى الشفافية، مما يساعد على ترسيخ الدعاية المضادة للصين باعتبارها نظاماً استبدادياً.

لكن بالمقابل يرصد الباحثون أيضاً شعوراً إيجابياً يتنامى لدى المتفائلين بالنموذج الصيني يتمحور حول قدرة الصين على التأثير بشكل متزايد على الضمير العالمي للحد من هيمنة القوى التقليدية، وخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وكيف أظهرت الصين قدرتها على عدم السقوط بسبب ذلك الانهيار، فتمكنت على الرغم من اتباع نفس السياسات الشيوعية الأساسية، من عكس العديد من التغييرات الجذرية التي كانت تحدث في العالم والاستجابة بمرونة دون أن تفقد توازنها نتيجة اعتمادها نموذج الأفكار الشيوعية أو الاشتراكية، لذلك يرى الباحثون أن الصين وعبر تاريخها وحضارتها وجدت ملاذاً من التغييرات السياسية التي غيرت المجتمع الدولي، تماماً كما لعبت الأخلاق الصينية دوراً مهماً في التماسك الاجتماعي والسياسي للصين والحفاظ على استقلالها لمدة أربعة آلاف عام.^{١٨}

المطلب الرابع مجالات تطبيق القوة الناعمة الصينية دولياً

تماشياً مع التغيير في طبيعة النظام السياسي الدولي وقضايا ومشكلاته، والتي تتطلب تكيفاً مرناً مع تطوّر أهداف الشعوب وتطلعاتها فإن النموذج الصيني يظهر جلياً بقدرته على استخدام القوة وأدوات التأثير في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية وتوظيف أدوات إدارة المعرفة، ومرونته الفائقة للتكيف مع التطور التكنولوجي في فضاء تبادل المعلومات إلكترونياً ليكون حاضراً في التوقيت المناسب أمام سياسات الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية تجاه العالم في مختلف البقاع الجغرافية، وبذلك يجمع النموذج الصيني عدة أدوات في إطار مفهوم القوة الذكية التي تجمع بين القوة الصلبة والناعمة، ومن أهم هذه الأدوات العقوبات الاقتصادية والفكرية وعقوبات التأثير الإعلامي والتدخل المباشر وغير المباشر لتشكيل قواعد النخب الموالية ومجموعات الضغط المقربة من دوائر صنع القرار، الأمر الذي من شأنه أن يعيد فرص الصراع بين الصين والدول الغربية كنتيجة حتمية للتوظيف المتبادل لمختلف أشكال القوة لتأكيد المصالح والأهداف وتعزيز المكانة في النظام السياسي الدولي.^{١٩}

^{١٧} شريفة فاضل محمد بلاط، "الهوية الثقافية وتأثيرها على العلاقات الصينية الأفريقية"، مجلة كلية السياسية والاقتصاد، العدد العاشر، إبريل ٢٠٢١، ص ٧١

^{١٨} Zainab Abdullah، "Chinese foreign policy towards the Arab Gulf states (Saudi Arabia as a model Political Attijahat"، ٢٠١٨، ص ٧٣

Germany، Fifth Issue، -Journal، Arab Democratic Center، Berlin

^{١٩} شيماء أبوعيد، "القوة في العلاقات الدولية: دراسة تأصيلية"، دراسات سياسية، المعهد المصري للدراسات ٠٥ أكتوبر ٢٠١٨، ص ١١

ومن اللافت للنظر حسب بعض الباحثين أن الصين لم تعد تستخدم القوة الناعمة فقط لتعزيز مصالحها، ولكن أيضاً للتأثير على سياسات الدول الأخرى ومحاولة اختراقها من خلال تطبيق سياسات القوة الناعمة لتعزيز مصالحها ومكانتها الدولية، وتعد أدوات وحلول التواصل البسيطة أو برمجيات الألعاب الإلكترونية والبرامج الرقمية ومبادرات الاستثمار في هذه المجالات بشكل عابر للحدود فضلاً عن الاختراق الإلكتروني أحد أشهر أدوات القوى الناعمة المتاحة للصين، حيث يمتاز تأثير العامل التكنولوجي كأحد أدوات القوة بشكل عام والقوة الناعمة بشكل خاص بقدرته الاستثنائية على تعزيز السلطة ونشر الأيديولوجية السياسية داخلياً وخارجياً فضلاً عن القدرة على احتواء التحديات الأمنية والوطنية التي تواجهها الدول^{٢٠}، ومما يسمح للصين بإدارة صراع غير مسلح تكون فيه الضغوط الاقتصادية والتكنولوجية سلاحها الفعال كجزء من السياسة الخارجية لإمبراطورية واحدة^{٢١}.

ويمكن تلخيص مجالات تطبيق القوة الناعمة الصينية خارجياً على النحو التالي انطلاقاً من فهم مضامين تقرير الرئيس الصيني (شي جين بينغ) الذي قدمه إلى المؤتمر الوطني السابع عشر للحزب الشيوعي الصيني عام ٢٠١١م حين قال "يجب أن أقوم بتعزيز القوة الناعمة للصين، ونشر السرد الصيني الجيد، ونقل الرسائل بشكل أفضل إلى العالم":

- (١) الاستثمار المباشر في الخارج؛ حيث يُعد الاستثمار الصيني جذاباً بشكل خاص للدول النامية، كونه لا يربط الاستثمار في هذه الدول بملفات حقوق الإنسان أو انتشار الديمقراطية.
- (٢) المساعدات الخارجية المباشرة؛ والتي تتميز عن نظيرتها المقدمة من الدول الغربية المانحة بعدم ربطها بأي شروط أو تدخلات سياسية واضحة.
- إنشاء أو تبني تكتلات إقليمية فاعلة، مثل منظمة شنغهاي والتي تضم بالإضافة إلى الصين وروسيا وكازاخستان وقيرغيزستان وطاجيكستان وأوزبكستان، عضوية "مراقب" لكل من الهند وإيران وباكستان ومنغوليا حيث يرى بعض الخبراء أن مثل هذه التكتلات تشكل تحدياً للنفوذ الأمريكي والغربي في آسيا^{٢٢}
- المنح الدراسية: حيث اعتمدت الصين النهج الأمريكي في زيادة المنح الجامعية للطلاب من مختلف دول العالم، وتتبنى هذه الخطوة فرضية أن نسبة كبيرة من الطلاب سيكونون مفتونين بقيم وعادات وفلسفة البلد المضيف.
- صناعة الإعلام: حيث تحاول الصين بناء إمبراطورية إعلامية من خلال إطلاق سلسلة تلفزيون الصين المركزي (COV)، ولأن هذه الصناعة جزء مهم من سياسة نشر الثقافة والقيم فهي تشمل ترجمة الكتب والأفلام والتلفزيون والإذاعة وغيرها من وسائل الإعلام.
- معاهد كونفوشيوس: حيث تشكل هذه المعاهد جزءاً لا يتجزأ من الجهود الرامية إلى بناء القوة الناعمة التعليمية لمبادئ الاشتراكية الصينية الحديثة، وبنهاية عام ٢٠١٦م تم إنشاء ٥١٢ معهداً وإطلاق ١٠٧٣ دورة في ١٤٠

^{٢٠} Laboratory for Arab Relations: The Case of Algeria -Belkacem Ben Daifallah,, Report on the Symposium on Sino

١٤٥p. ٢٠١٦، ril Research and Studies in International Relations, University of Algiers, Ap

^{٢١} محمد عبد العال شوقي، العلاقات الصينية الأفريقية وقضايا القارة في المنظمات الدولية"، آفاق أفريقيا، العدد ٣٠، ٢٠٠٩. ص ٥٥

^{٢٢} مروان سمور، ٢٠٢٠، قوة الصين الناعمة، جريدة رأى اليوم الدولية

دولة، مما يعني أن معاهد كونفوشيوس قد اكتسبت موطئ قدم في جميع أنحاء العالم، منها ١١ معهداً في دول تنطق العربية^{٢٣}.

المبحث الثاني: رؤيا حدود القوة الناعمة الصينية وآثارها

المطلب الأول رؤيا وأوجه دبلوماسية القوى الناعمة الصينية

تحت شعار السلام والتنمية والتعاون، تتخذ الدبلوماسية العامة الصينية خطوات جريئة لخدمة برامجها التنموية والمساهمة في كل ما يتعلق بالسلام العالمي والتنمية المشتركة، ويمكن تحديد أهم جوانب هذه الدبلوماسية على النحو التالي:

١. السلام الدولي والتنمية الإنسانية: فمنذ بداية القرن الحادي والعشرين، يتغير الوضع الدولي بشكل مستمر وعميق تتطور فيه التعددية القطبية والعولمة الاقتصادية بطريقة ما على طول مسارهما المتشابك، لكن يظل الحفاظ على السلام العالمي وتعزيز التنمية المشتركة مهمة ظاهرة وموحدة لجميع حكومات الدول المختلفة، ويرصد الباحثون سعي الصين بشكل خاص إلى استلهام الدروس المستفادة من الجهود المبذولة والتجارب الماضية لتحسين أدائها في استخدام أدوات وقنوات القوة الناعمة وتعزيز فاعلية نتائجها بشكل أكبر تلبية لمطالب التنمية الإنسانية الحديثة والتقدم البشري والتعاون لتعزيز السلام كوسيلة فعالة لتوسيع القاسم المشترك لمصالح مختلف دول العالم وتحقيق المنفعة المتبادلة لكل الأطراف.^{٢٤}

٢. تحقيق الأمن المشترك: فمع تزايد التهديدات الأمنية غير التقليدية في مختلف دول العالم وتشابكها مع التهديدات التقليدية، تتأكد أهمية احترام طبيعة التعددية وتبني قضايا التكافل والبرامج الوقائية تحاشياً لأي ظهور مفاجئ لعدد من القضايا الأمنية بجميع أنواعها، خاصة ما يتعلق بالقضايا ذات الارتباط بالأيديولوجية أو التنوع العرقي أو الطبقية الاجتماعية فضلاً عن التحديات التقليدية لأمن الدول وارتباطها بالقضايا الأمنية العالمية مثل قضايا الإرهاب أو تجارة المخدرات أو تجارة البشر ونحو ذلك، لذلك ترسخت قناعة الصين عند تطوير استراتيجية دبلوماسيتها العامة بأنه لا يمكن إيجاد حلول فعالة للمشاكل الأمنية التي تواجهها جميع الدول من خلال التعاون الأمني التقليدي فقط، وأن تبني عقلية الحرب الباردة والأحادية والغطرسة العسكرية هو طريق مسدود.^{٢٥}

٣. التعاون لتحقيق التنمية المشتركة: فمع زيادة العولمة الاقتصادية تزداد درجة الترابط الاقتصادي والاعتماد المتبادل بين القطاعات الاقتصادية، ولذلك تركّز الصين على الاستفادة من ترجمة هذا الاحتياج في مختلف دول العالم وبخاصة المناطق ذات البعد الاستراتيجي مثل الدول العربية والشرق الأوسط إلى مناطق استثمار طويل المدى وبتسهيلات تنافس ما تقدمه الصناديق الاستثمارية التقليدية إيماناً منها بقدرة التأثير الاقتصادي على تحقيق مستهدفات التنمية المشتركة كبعد استراتيجي لدبلوماسيتها العامة.^{٢٦}

٤. التعايش والانسجام بين الحضارات المختلفة: فمع تغير وسائل التواصل والتكنولوجيا تتغير جوانب عديدة في حياة الإنسان وأساليب الإنتاج المعتادة، مما يجعل العلاقات الدولية أكثر تعقيداً حيث يصعب تحقيق التنمية المستدامة إلا من

^{٢٣} منصور أبو كريم، ٢٠٢٣، القوة الناعمة بين تأصيل المفهوم ودلالات التوظيف في تنفيذ السياسة الخارجية (الولايات المتحدة والصين دراسة مقارنة، مجلة السياسة العالمية المجلد ٧، العدد ٢، ص ٢٩/٤٠

^{٢٤} شريفة فاضل محمد بلاط، 'الهوية الثقافية وتأثيرها على العلاقات الصينية الأفريقية'، مجلة كلية السياسية والاقتصاد، العدد العاشر، إبريل ٢٠٢١، ص ٨٢

^{٢٥} سعد عبيد، القوة الناعمة في الاستراتيجية الدولية (الاستراتيجية الصينية تجاه أفريقيا نموذجاً، جامعة العربي التيسبي، كلية الحقوق ٢٠٢١، ص ١٣٥

^{٢٦} ٢١٢Pp، ٢٣nd International Review, Issue Chinese Relations, Political a-Reda, Arab-Samira Naim Abdel، ٢٠١٣.

خلال المنفعة المتبادلة، وتعزيز الحوار والتعاون على أساس الاحترام المتكافئ والتسامح المتبادل، ويرى الباحثون بالشأن الصيني خلال السنوات الأخيرة كيف أصبح التعاون متعدد المجالات والمستويات ومتنوع القنوات والأدوات في المجتمع الدولي خياراً واقعياً واستثماراً مجدياً للدبلوماسية العامة الصينية في عدد متزايد من البلدان، حيث يصبح السعي لتحقيق التعايش والانسجام بين شعوب العالم اتجاهاً جديداً لتبادل المنافع واحترام الحضارات.^{٢٧}

٥. استقلال وسلمية سياسة الصين الخارجية: فمع انتهاج الحكومة الصينية سياسة خارجية مستقلة وسلمية، تطالب علانية وبانتظام عبر "الأمم المتحدة" وبقية المنظمات الدولية بانتهاج مسارات تعايش سلمي بين دول العالم كبيرها وصغيرها على حدٍ سواء ثرية كانت أو محدودة الموارد، وقوية أو ضعيفة عسكرياً، كما تسعى السياسة الخارجية الصينية إلى تسويق مفاهيم تعزيز العدالة والمساواة، ويرى الباحثون أن انتهاج الصين لهذه السياسة يحظى بتقدير كبير على مستوى مختلف الدول النامية والقوى الصاعدة اقتصادياً لأنها لا تلبي فقط المصالح الأساسية للشعب الصيني بل وتساهم أيضاً في تلبية الاحتياجات المتنوعة لشعوب العالم، لذلك كان من الملاحظ احتواء الركائز الأساسية للدبلوماسية العامة الصينية مبادئ من شأنها حفظ السلام العالمي وتوطيده منذ أن دخلنا في القرن الجديد لتقدم نفسها كمركز مستقل وسلمي من مراكز تحقيق التنمية المستدامة والتشاركية، ووفق دبلوماسية خالية من الممارسات الاستعمارية التقليدية تاريخياً.^{٢٨-٢٩}

٦. بناء علاقات مستقرة مع الدول الكبرى: فمع انتهاج الصين مساراً عقلانياً في علاقاتها مع الدول الكبرى المسيطرة على مراكز القرار العالمي سواء بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أو انتهاء مرحلة الحرب الباردة، يبدو للمراقبين مدى التزام الدبلوماسية الصينية بسياسة ضبط النفس والدعوة المستمرة للحفاظ على الاستقرار الاستراتيجي العالمي وتوطيده مع مختلف القوى، حيث أقامت أشكلاً مختلفة من علاقات الشراكة مع الدول الكبرى، وسعت جاهدة لتوسيع المصالح المشتركة والتعامل بشكل مناسب مع الخلافات وتسويق ذلك إعلامياً وعبر القنوات الدبلوماسية المختلفة.^{٣٠}

المطلب الثاني: حدود القوة الناعمة الصينية

تتلور حدود القوة الناعمة الصينية من خلال النقاط الأساسية التالية

١. الصين لا تستثني العالم من تنميتها: تنتهج الصين في خطة دبلوماسيتها الناعمة أنه مثلما يحتاج العالم الصين لاستقراره وازدهاره، فإنها أيضاً تحتاج مناخاً عاماً للسلام والتنمية والتعاون، ولذلك تحرص على تقديم مساهمات متنوعة وجديدة لتحقيق السلام والتنمية دولياً، مما ساعد في إجبار حكومات بعض الدول على استخدام تجربة التنمية السلمية

^{٢٧} Chinese Relations, Political and International Review, Issue -Reda, Arab-Samira Naim Abdel, ٢٠١٣، ٢٣.

^{٢٨} Sheng Ding, Chinese Soft Power and Public Diplomacy: An Analysis of China's New Diaspora Engagement

٩٦pp، ٢٠١٤ Copyright by EAI، ٤٣ Policies in the Xi Era, EAI Fellows Program Working Paper Series No. Po

^{٢٩} Published by ٢٠١٨ - ١٩٧٨، YEARS OF REFORM AND DEVELOPMENT ٤٠ Ross Garnaut & et all, CHINA'S

١١pp، ٢٠١٨ Australia، ٢٦٠١ ANU Press The Australian National University, Acton ACT

^{٣٠} الفقيه عرض الصادق، "الدبلوماسية الصينية: النظرية والتطبيق"، مركز الجزيرة للدراسات (١٣ فيفري، ٢٠١٥)، ص ٣١

للصين، والتي تحولت فيما بعد إلى نظرية ذات جاذبية اقتصادية فعلية^{٣١}، وتستند هذه النظرية على أن الصين تعتمد في تنميتها كقوة صاعدة إلى قدراتها الذاتية وتطورها التكنولوجي، وأنها تتطور من أجل تحقيق توازن تبادل المنافع بسلمية، وتسعى إلى تحقيق المنافع المشتركة مع الدول الأخرى دون تمييز سلبي، ودون أن يؤثر ذلك على قدرتها على التكيف مع العولمة الاقتصادية^{٣٢}، مع التمسك الدائم بمبادئ التعاون والسلام الدولي على أساس مبدأ احترام وحدة أراضي الدول الأخرى.

٢. التوازن بين التركيز على المحيط الآسيوي وبين الاستثمار على نطاق مفتوح عالمياً: يرى الباحثون في الشأن الصيني أنها توازن في دبلوماسيتها الخارجية عبر إطلاق ما يسمى بسياسة الطوارئ السلمية، حيث تسعى الصين جاهدة لخلق بيئة آمنة للنمو الاقتصادي، وتجنب النزاعات والخلافات، والانفتاح على العالم، فضلاً عن لعب دور إيجابي في محيطها الإقليمي وعدم إفساح المجال لخلق أي تهديدات مباشرة من حولها بشكل ينتج عنه تعطيل أهدافها التنموية، ومن هنا انطلقت في بناء وتعزيز الشراكات الاقتصادية لتوثيق المصالح المشتركة مع القوى الفاعلة الدولية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، وفي الوقت نفسه تعميق علاقات التعاون الاستراتيجي مع روسيا واليابان والهند وباكستان وغيرها من دول آسيا، فضلاً عن دعمها لأنشطة المنظمات ومجموعات العمل الدولية مثل (entid و APEC) ومنظمة شنغهاي للتعاون وذلك لإبراز عزم الصين الحقيقي على دعم حل المشكلات وتبني المبادرات المؤثرة^{٣٣} منطلقاً في ذلك مما تمثله الحضارة الصينية من عنصر قوي للتأثير في دبلوماسيتها الناعمة، فالتاريخ الطويل والجذور العميقة لتلك الحضارة تجعلها موضع ثقة الشعوب الأخرى بصفة عامة وفي الإقليم الآسيوي بصفة خاصة، وبالتالي يمكن تشخيص تأثير القيم الكونفوشيوسية على الدبلوماسية العامة الصينية من خلال عبارة "أنت تعيش بسلام معها" لذلك تثق العديد من الدول بالشراكة مع توجهات الاقتصاد الصيني باعتباره جزءاً لا يتجزأ من دبلوماسية القوة الناعمة للسياسات الصينية الخارجية^{٣٤}

المطلب الثالث أثر القوة الناعمة في تنفيذ السياسة الخارجية الصينية

تتميز الصين بكونها من الدول النامية التي تمكنت من تقديم نموذج تنموي عالمي يضعها في مصاف الدول الكبرى بفضل قيمها الفكرية وروحها، ولذلك لاحظ المراقبون اهتمام الرئيس الصيني "شي جين بينغ" بمفهوم "القوة الناعمة" والذي أدرك أن الصين تعاني من تأخر نسبي كبير في استخدام أدوات القوة الناعمة، خاصة إذا ما قورنت مع الولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول الاتحاد الأوروبي، إلا أن المنهج الصيني في هذا الإطار يتميز بسمات تميزه عن تلك التي تتبناها القوى الأخرى إذ تهدف القوة الناعمة الصينية إلى نشر القيم من خلال العلاقات الثقافية والتبادل المعرفي والدبلوماسية العامة والتعاون الاقتصادي دون استخدام الهيمنة العسكرية التقليدية^{٣٥}، إذ يمكن وبشكل عام وصف القوة الناعمة الصينية في تنفيذ

^{٣١} عدنان خلف حميد البدراني، أثر الاستمرارية والتغيير في السياسة الخارجية الصينية تجاه الشرق الأوسط وعملية السلام، المجلة المستتصيرية للدراسات العربية والدولية، العدد ٤٩، ٢٠١٥، ص ١٧١

^{٣٢} شيماء أبوعيد، "القوة في العلاقات الدولية: دراسة تأصيلية"، دراسات سياسية، المعهد المصري للدراسات ٠٥ أكتوبر ٢٠١٨، ص ٥٠

^{٣٣} Charlene Tan and Salih Heron, Education Reform in China: Towards Classroom Societies, October article, ٢٠١٦، ص ١٨

^{٣٤} علي حسين بكير، "مستقبل الصين في النظام العالمي (دراسة في النهوض السلمي والقوة الناعمة) دكتوراه في العلوم السياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية - جامعة بيروت الدولية، ٢٠١٦، ص ٤٤

^{٣٥} اسلام عيادى، ٢٠١٧، الموقف الصيني والإسرائيلي من قضايا التحول السياسي في منطقة الشرق الأوسط، العدد الثالث "يونيو، مجلة العلوم السياسية والقانون إحدى إصدارات المركز الديمقراطي العربي، فلسطين ص ٣١٨

سياساتها الخارجية بأنها ذات طبيعة دفاعية، تهدف إلى تصحيح التصورات التي يسميها الغرب "التهديد الصيني"، وتوضيح النوايا والأهداف السلمية للسياسة الخارجية الصينية^{٣٦}، وانتجت ذلك من خلال زيادة حجم ونوعية قدراتها في مجال الطاقة والصناعات التقنية ومحاولة كسب المزيد من التحالفات الاقتصادية على مستويات مختلفة بين العديد من البلدان^{٣٧}، فعلى سبيل المثال لا الحصر باشرت الصين مع نهايات العقد الأول للألفية الجديدة إطلاق ٣٢ منطقة للتنمية الاقتصادية والتكنولوجية و ٥٢ منطقة صناعية للتكنولوجيا المتقدمة، وفي الوقت نفسه سهلت تدشين العديد من المشاريع الأجنبية والمشاركة التي تنقل التكنولوجيا إلى البلاد.

وعلى المسار الموازي لمفاتيح الاقتصاد والتقنيات شكلت المعاهد الصينية التي تأسست في الخارج لنشر أدوات الفكر الصيني وثقافته الرفاعة المساندة لتسويق الاشتراكية الصينية، لذا يلاحظ المراقبون مدى تركيز الصين في سياستها الخارجية وتوسع نفوذها على فلسفة جديدة للقوة الناعمة على الطريقة الصينية حيث تتجلى مظاهر هذه القوة في التعليم، وفي وسائل الإعلام، وفي إطلاق مشروع "الحلم الصيني" وتسويق أدواته على شبكة الإنترنت حيث نجد أن الصين تعزز الاستثمار الاقتصادي والتجارة والهجرة ودبلوماسية الابتسام^{٣٨}، كما يشير الباحثون للشأن الصيني خلال السنوات العشرين الماضية إلى النشاط المتنامي لتعزيز نفوذها عبر توسعة السيطرة الاقتصادية ومن ذلك مشروع طريق الحرير الجديد، والذي أصابه بعض التعثر مع انطلاق جائحة كورونا نهاية ٢٠١٩م، إلا أن ظهور فيروس (COVID-19) كشف بالمقابل عن عوامل مؤثرة إضافية يمكن ملاحظتها وسجلها كدليل على الطموح الصيني والرغبة في لعب دور أكثر نشاطاً^{٣٩} على الساحة الدولية وفي مختلف الملفات الساخنة، ومن ذلك ما بادرت به الصين أثناء أزمة الديون في منطقة اليورو، ويقول "أليسون جراهام" في كتابه حتمية الحرب بين القوة الصاعدة والقوة المهيمنة: ارتفعت حصة الصين في الاقتصاد العالمي بسرعة كبيرة من ٢% عام ١٩٨٠م إلى ١٨% عام ٢٠١٥م وهي في طريقها للوصول إلى ٣٠% من الاقتصاد العالمي بحلول عام ٢٠٤٠م^{٤٠}.

المطلب الرابع أثر القوة الناعمة الصينية في علاقاتها بالدول العربية

يرى بعض الباحثين أنه كان من المفترض أن يكون تأثير القوة الناعمة الصينية أكثر وضوحاً في الدول العربية لأسباب وعوامل جيوسياسية واقتصادية وسياسية وثقافية مختلفة، وذلك انطلاقاً من أن العلاقات العربية الصينية متشابكة تاريخياً وعلى امتداد زمني طويل، مما يساعد على تمييز هذه العلاقات في العصر الحديث بشكل أفضل إذ تعتبر الثقة في العلاقات العربية الصينية إحدى النقاط القليلة التي تتفق عليها معظم الدول العربية نتيجة تأثير أدوات وقنوات القوة الناعمة الصينية تاريخياً على الدول العربية اقتصادياً وسياسياً على النحو التالي:

^{٣٦} منصور ابو كريم، ٢٠٢٣، القوة الناعمة بين تأصيل المفهوم ودلالات التوظيف في تنفيذ السياسة الخارجية (الولايات المتحدة والصين دراسة مقارنة، مجلة السياسة العالمية المجلد ٧، العدد ٢، ص ٢٩/٤٠

^{٣٧} دينا سليمان، وكمال لاتين، (٢٠٢٠)، تحول القوة وتأثيرها على السعود العسيلي (٢٠١٨:٢٠٠٨)، برنين: المركز الديمقراطي العربي للدراسات السياسية والاستراتيجية والاقتصادية ص ١٣٦

^{٣٨} مروان سمور، ٢٠٢٠، قوة الصين الناعمة، جريدة رأى اليوم الدولية، ص ٧٣

^{٣٩} صالح حسن ابو عدي (٢٠٢٠)، القوة الناعمة الصينية. أبرز المساعدين في بومرية كورونا الدوحة مدونات الجزيرة ص ١٢٠

^{٤٠} صفاء حسين على (٢٠٢١). استراتيجية القوة الذكية وآثارها في السياسة الخارجية الصينية. مجلة الجامعة العراقية

أولاً: الأدوات الاقتصادية

يشير الباحثون إلى أن الاهتمام الصيني بالخليج العربي ينبع من عدة اعتبارات أهمها احتياطات النفط الغنية في هذه البلدان، لذا فإن الأهمية الجغرافية الاقتصادية التي تتمتع بها المنطقة تعتبر المحرك الرئيسي لخلق شراكات تنموية مع هذه الدول لتحقيق استدامة التنمية الصناعي للصين، ويظهر جلياً سعي الصين لإقامة شراكات اقتصادية طويلة الأمد في منطقة الخليج العربي نتيجة وعيها بما يشكله هذا الموقع الجغرافي من عمق استراتيجي لقطاع الطاقة الحيوي وأهمية وجود عروض تنافسية مع الشركات الأوروبية والأمريكية التي هيمنت على أسواق النفط العربية منذ عقود^{٤١}؛ وتسعى الصين بشكل دؤوب لخلق تواجد دائم في المنطقة العربية وفقاً لفلسفتها الجديدة المتعلقة بالقوة الناعمة بالتزامن مع صعودها الاقتصادي والسياسي البراغماتي، ومع واقع اقتصادي عربي مرحّب لأنه يجد فيه بديلاً مقبولاً عن التواجد الاستعماري والهيمنة التقليدية للقوى الكبرى، فنتج عن هذا الانسجام التفاهم حول ملف الطاقة الذي يشكل نقطة ارتكاز محورية في توجيه التنمية الاقتصادية للصين واستدامتها شرق وجنوب شرق آسيا إذ تستورد الصين من الدول العربية في الخليج (٦٥٪) من استهلاكها النفطي لتبقى بذلك معتمدة على نفط المنطقة على المدى الطويل.

ويدعم هذا التوجه التموذج الاستراتيجي للصين صناعياً إذ يعتبر الباحثون أن النمو الاقتصادي السريع للصين أصبح بمثابة "المصنع العالمي المتنوع" مما يحفز لاحتية بناء جسور تواصل متميزة مع الدول العربية تلبي متطلبات السوق ونهضتها الاقتصادية، وفي المقابل وجدت دول الخليج العربية في الصين خياراً مناسباً في مقابل سعي الدول الغربية ولا سيما الولايات المتحدة إلى تقليل اعتمادها على النفط العربي من خلال تنويع وتطوير مصادر الطاقة البديلة، إلا أن المراقبين لا يزالون يرون أن تأثير أدوات القوة الناعمة الصينية في الدول العربية لا يزال بحاجة إلى مضاعفة الجهود من الجانبين لفتح آفاق جديدة لا تقتصر على النفط فقط بل لتعميق التعاون في مختلف مجالات الاقتصاد^{٤٢}؛ لذا يلاحظ أن الصين سعت خلال السنوات التالية لعام ٢٠١١م إلى تحسين أمن الطاقة لديها من خلال الاستثمارات الكبرى في القطاعات ذات الصلة بالموارد في الدول العربية، بما في ذلك المملكة العربية السعودية والعراق وقطر والكويت وعمان والإمارات العربية المتحدة.^{٤٣}

ثانياً: الأدوات السياسية

يرى الباحثون في الشأن الصيني أن صعود القوة الناعمة الصينية كان له تأثيرات مختلفة بين الصين والدول العربية، إذ تحاول الصين تعزيز التوازن بين سياساتها الداخلية والخارجية والأمنية بحيث لا تميل كثيراً لصالح منطقتي شرق الصين وشرق آسيا فقط بل لتتقدم غرباً إلى آسيا الوسطى وما وراءها، لأنه لا يخفى على صانعي القرار في الصين أن المنطقة العربية بشكل عام لها معنى مختلف من حيث الأهمية واستراتيجية الشراكة في الاتجاهات الجيوسياسية ومن حيث متطلبات

^{٤١} First Century, International –Soft Power In China's Abroad Politics In the Twenty Bestoon Hussain Arif, The Role of Journal of Social Sciences and Education Studies, Volume ٣, Issue ٣, ٢٠١١, pp. ٦٥.

^{٤٢} علي حسين بكير، مستقبل الصين في النظام العالمي (دراسة في النهوض السلمي والقوة الناعمة) دكتوراه في العلوم السياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية – جامعة بيروت الدولية، ٢٠١٦، ص ٨١.

^{٤٣} Carola McGiffert, Chinese Soft Power and Its Implications for US Competition and Cooperation in the Developing World, tegic and International Studies, CSIS Smart Energy Initiative Report, Center for Stra ٢٠٠٩, pp. ٤١.

النمو من الصين إلى دول الحزام الثالث في العالم جنباً إلى جنب مع الاقتصاد الصيني^{٤٤}، ويتنامى هذا الاهتمام ويتخذ أشكالاً واتجاهات جديدة تستند على جاذبية العالم العربي في المقام الأول من وجهة نظر جيوسياسية حيث يتم تصوير سياسات الصين على أنها حكيمة وقادرة على جسر الخلافات وبناء جسور التقارب والتعاون وهذا يعني أن الصين وهي تفعل ذلك مع مختلف دول العالم، يجب أن تأخذ زمام المبادرة لفعل الشيء نفسه مع الدول العربية ودول الخليج تحديداً، لا سيما تلك التي لها تاريخ طويل من التعاون الاقتصادي القائم على طريق الحرير، الذي كان شريان الحياة للمنطقة، والممتد من شواطئ البحر الأبيض المتوسط إلى بحر الصين، وقد عمل لأكثر من ألف عام لتقريب ثقافات وحضارات هذه القارة الآسيوية من بعضها البعض وجعلها طريقاً إلى الاقتصاد العالمي.^{٤٥}

لقد شكلت التغيرات التي عاشها الشرق الأوسط منذ بداية الألفية الجديدة تحدياً واضحاً لقدرة السياسة الصينية الخارجية في التكيف مع تسارع الأحداث واندلاع الاضطرابات، حتى بدأت أحداث ما يسمى بالربيع العربي وما صاحبها من سقوط بعض الأنظمة وإعادة تشكيل الأدوار الإقليمية في المنطقة، وهنا اختبرت الصين قدرتها في توظيف أدوات قوتها الناعمة لمواجهة الوضع الجديد، عبر التركيز على المستقبل وأخذ زمام المبادرة لخلق بيئة مواتية لتعزيز نفوذها السياسي في المنطقة، وعلى عكس معظم الباحثين الغربيين والعرب فإن غالبية الباحثين الصينيين يتخذون موقفاً أكثر تحفظاً في استخدام المصطلحات "الثورة" و"الربيع العربي" إذ يميلون إلى استخدام مصطلحي "الاضطرابات" و"التغيرات" للتعبير عن آرائهم بشأن الوضع في الشرق الأوسط لتأكيد مبدأ الحيادية وعدم الانخراط في موقف سياسي أو فكري مع أي طرف ضد طرف آخر، وعليه يمكن تلخيص السمتين الرئيسيتين للسياسة الخارجية الصينية في الشرق الأوسط خلال "الربيع العربي":

(١) السمة الأولى لسياسة الصين في الشرق الأوسط هي أنها عملية وواقعية.

(٢) السمة الثانية البارزة هي الاتساق ومرونة التكيف مع الأحداث.^{٤٦}

فبدءاً من أحداث "الربيع العربي"، اتخذت الصين موقفاً استشرافياً، على النقيض من الموقف الترحيبي الذي اتخذته الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي؛ فظلت تعبر عن قلقها من استخدام القوة لتغيير الأنظمة السياسية، ودعت المجتمع الدولي إلى مساعدة الدول التي تشهد صراعات دامية للحفاظ على وحدة الشعب والبلاد وبناء القدرات الوطنية؛ وعليه فقد وضعت التطورات في منطقة الشرق الأوسط سياسة الصين موضع تساؤل، حيث المصالح الاقتصادية لبيكين هي العامل الأكثر أهمية في تحديد سياستها الخارجية تجاه المنطقة، خاصة وأن الدول العربية تعد سادس أكبر شريك اقتصادي للصين من خلال الاتفاقيات الثنائية، وتمثل دول الخليج ذات الموقف المتباين من الأحداث نحو ٧٠% من هذه الشراكة، ولكن بالمقابل تعاملت الصين بحذر شديد في الملف السوري إذ تخشى الصين من تأثير نتائج هذا الملف على مكانة إيران الإقليمية كحليف استراتيجي لسوريا، خاصة وأن إيران تحتل المركز الرابع في الاستثمارات الصينية، بحسب عدد الشركات الصينية

^{٤٤} Laboratory for –Arab Relations: The Case of Algeria –Belkacem Ben Daifallah, , Report on the Symposium on Sino

١٤١٦, ٢٠١٦, ١٤ Research and Studies in International Relations, University of Algiers, April

^{٤٥} The Political Dimension of the Arabs. Chinese Relations and Their Future Prospects, ٢٠١٤Shagaba, –r Muslim AlOma

٨٢pp, Appendix ٤١, Dirasat Journal, Human and Social Sciences, Vol.

^{٤٦} اسلام عيادي، ٢٠١٧، الموقف الصيني والإسرائيلي من قضايا التحول السياسي في منطقة الشرق الأوسط، العدد الثالث "يونيو"، مجلة العلوم السياسية والقانون

إحدى إصدارات المركز الديمقراطي العربي، فلسطين ص ١٢٥٠

العاملة في إيران ارتفع من ١٠٠ شركة في عام ٢٠١٠ إلى ١٦٦ شركة في ٢٠١١؛ وفي هذا الصدد يرى الباحثون أنَّ الصين اعتمدت عدة آليات للدفاع عن مصالحها بالتزامن مع الأحداث العربية، على النحو التالي:

(١) أخذ زمام المبادرة لأن الصين بحاجة ماسة إلى إكمال التحول من قوة إقليمية آسيوية إلى قوة عالمية، وهنا يجب أن تلعب الدبلوماسية الصينية دوراً مبادراً لخلق نمط جديد يضمن التحول الدبلوماسي في الشرق الأوسط من النمط السائد للخطاب الصيني المتحفظ في وقت سابق والذي كان مبدأً ثابتاً لفترة طويلة في التعامل مع الملفات المتشابكة للهيمنة الغربية.^{٤٧}

(٢) تفعيل الجوانب الإعلامية والثقافية مع شعوب وحكومات المنطقة العربية كجزء مهم من أدوات الدفاع الوطنية الصينية ولإثبات فاعلية القوة الناعمة التي تمتلكها في حماية المصالح التي تحرك الدوافع في دول المنطقة.

(٣) اغتنام الفرصة لتوسيع نطاق الاستثمارات سواء مع استقرار الوضع السياسي أو تغيير أنظمة الحكم وإعادة تشكيل المنطقة إذ أن المسارين يحتاجان التركيز على إعادة بناء الاقتصادات والاستقرار الاجتماعي في تلك البلدان، مما يشكل فرصة ذهبية لمساعدة شعوب المنطقة على معرفة المزيد عن تجربة الصين التنموية وجهودها وقوتها الاقتصادية.

ويرى الباحثون أنَّ النهج العملي في سلوك الصين الخارجي سيطر على تعاملها مع الأحداث العربية، إذ واصلت التفاوض مع الأنظمة الحاكمة التي تقف منها على مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية، وفي الوقت نفسه لم تغلق الباب بالكامل للتواصل مع قوى المعارضة لهذه الأنظمة، فجميع الأحوال تعتقد الصين أن جميع دول "الربيع العربي" ستأتي إليها بعد أن تستقر الأمور، حيث أن تجربتها التاريخية مع القوى الغربية لم تكن ممتعة وما زال الأمر يتعلق بذاكرة شعوب هذه الدول كمستعمرات قديمة، ومما يزيد هذا الاعتقاد ما تم توثيقه واقعياً من تردد واضح للقوى الغربية في مساعدة دول "الربيع العربي" حتى تلك التي أظهرت بعض التعافي سياسياً مثل تونس ومصر.^{٤٨}

الخاتمة

يتضح من السياق العلمي لهذا البحث أن القوة الناعمة الصينية تُعدّ من السياسات ذات الأثر المتميز في العلاقات الدولية كنموذج رائد في هذا المجال إذ ساعد انتهاج هذا الأسلوب على تحقيق العديد من النجاحات في مختلف المجالات سواء كانت اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية ولذلك يمكن وصفها بالقوة بكل ما للكلمة من معنى؛ ولقد أولت الصين اهتماماً وثيقاً لمفهوم الدبلوماسية العامة ودعم القوة الناعمة، بالتزامن مع محاولاتها تهيئة الظروف المناسبة للتحول إلى قوة دولية على مدى السنوات الماضية لتحقيق هذا الهدف، حيث نجد أن الصين لم تقتصر على الدبلوماسية رفيعة المستوى فحسب، بل لجأت أيضاً إلى أدوات القوة الناعمة مثل المساعدات والاستثمار والدبلوماسية الثقافية، وقد أظهر هذا الأسلوب الجذاب الذي مارسه الصين نجاحاً يستحق المتابعة والبحث المستمر، وفي هذا الصدد عملت الصين على رسم صورة إيجابية في

^{٤٧} محمد نبيل محمد فؤاد، الصناعات العسكرية الصينية ومبيعاتها لدول الشرق الأوسط، السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، عدد ١٤٠، القاهرة، إبريل ٢٠٠٠م.

^{٤٨} محمد عبد السلام، الشتاء الإقليمي: التعايش مع فترات الانتقال الطويلة في الشرق الأوسط، السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، العدد ١٨٧، يناير ٢٠١٢.

الخارج على أساس مجموعة من السمات المميزة لتظهر بأنها محبة للسلام، ومتوازنة مع الإمبريالية، وتتبنى الاشتراكية، ومعادية للهيمنة، ومؤيدة لحركات التحرير المستقلة، وذاتية القوة، وتعاونية في تحقيق الأهداف التنموية الإنسانية.

النتائج

- ❖ تمكنت الصين من تطوير قوتها الناعمة في العديد من المجالات، مما ساعدها على جني العديد من المنافع في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.
- ❖ اكتسبت الصين ثقة العديد من دول العالم نتيجة تمحور نموذجها على التشاركية وإظهار احترام وحدة وسلامة أراضي الدول الأخرى والنأي بنفسها عن الدخول كطرف مباشر في تغذية الصراعات.
- ❖ تسعى الصين بشكل متنامي إلى بناء وتطوير أدوات وقنوات قوتها الناعمة لتعزيز الاستفادة منها في تحقيق مستهدفات تنميتها الاستراتيجية.

المراجع

أولاً :- المراجع العربية

- (١) وداد حماد مخلف، حسن عبد الراوي، اعياد عيد رضا، القوى الناعمة الصينية وتأثيرها على الدول العربية، مجلة الآداب، ملحق العدد ١٣٦، كلية التربية للعلوم الانسانية، ٢٠٢١م
- (٢) اباد خلف عمر العقود، استراتيجية القوة الناعمة ودورها في تنفيذ أهداف السياسة الخارجية في المنطقة العربية، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٦.
- (٣) علي حسين بكير، مستقبل الصين في النظام العالمي (دراسة في النهوض السلمي والقوة الناعمة) دكتوراه في العلوم السياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية - جامعة بيروت الدولية. ٢٠١٦.
- (٤) عائشة منافح، محددات السياسة الخارجية للصين في الشرق الأوسط بعد الحركة العربية، بحث منشور في مجلة البحوث - منشورات مؤسسة خالد حسن، مركز الدراسات والبحوث - الرباط، المجلد الأول، ٢٠١٤
- (٥) عدنان خلف حميد البدراني، أثر الاستمرارية والتغيير في السياسة الخارجية الصينية تجاه الشرق الأوسط وعملية السلام، المجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد ٤٩، ٢٠١٥،
- (٦) ناي جوزيف، القوى الناعمة، مكتبة الكعبان للنشر، الطبعة الثانية، الرياض، ٢٠٠٧
- (٧) عبد الصادق توفيق، " مرتكزات السياسة الخارجية للصين في أفريقيا "، مجلة سياسات عربية، العدد ٥، نوفمبر ٢٠١٣.
- (٨) محمد عبد العال شوقي، العلاقات الصينية الأفريقية وقضايا القارة في المنظمات الدولية "، آفاق أفريقيا، العدد ٣٠، ٢٠٠٩.
- (٩) عراقي محمود، " الوجود الصيني في أفريقيا: رؤية تحليلية للعلاقات الصينية الأفريقية "، آفاق أفريقيا، المجلد ١٢، العدد ٤١، ديسمبر ٢٠١٤
- (١٠) سعاد عبيد، القوة الناعمة في الاستراتيجية الدولية (الاستراتيجية الصينية تجاه افريقيا نموذجاً، جامعة العربي التبسي، كلية الحقوق ٢٠٢١.
- (١١) عطوة فتحي " الصورة الإيجابية للصين بأفريقيا "، آفاق أفريقيا، العدد ٣٠، القاهرة، ٢٠٠٩.
- (١٢) شيماء أبوعيد، " القوة في العلاقات الدولية: دراسة تأصيلية "، دراسات سياسية، المعهد المصري للدراسات ٠٥ أكتوبر ٢٠١٨.
- (١٣) شريفة فاضل محمد بلاط، " الهوية الثقافية وتأثيرها على العلاقات الصينية الأفريقية "، مجلة كلية السياسية والاقتصاد، العدد العاشر، ابريل ٢٠٢١.
- (١٤) الفقيه عرض الصادق، " الدبلوماسية الصينية: النظرية والتطبيق "، مركز الجزيرة للدراسات (٢٠١٥)
- (١٥) منصور ابو كريم، ٢٠٢٣، القوة الناعمة بين تأصيل المفهوم ودلالات التوظيف في تنفيذ السياسة الخارجية (الولايات المتحدة والصين دراسة مقارنة، مجلة السياسة العالمية المجلد ٧، العدد ٢، ص ٢٩/٤٠
- (١٦) محمد نبيل محمد فؤاد، الصناعات العسكرية الصينية ومبيعاتها لدول الشرق الأوسط، السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، عدد ١٤٠، القاهرة، إبريل ٢٠٠٠م.
- (١٧) محمد عبد السلام، الشتاء الإقليمي: التعايش مع فترات الانتقال الطويلة في الشرق الأوسط، السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، العدد ١٨٧، يناير ٢٠١٢.

ثانياً المراجع الأجنبية

1. Zainab Abdullah ,Chinese foreign policy towards the Arab Gulf states (Saudi Arabia as a Germany, Fifth Issue, -model), Political Attijahat Journal, Arab Democratic Center, Berlin
2. Chinese Relations and n of the Arabs.Shagaba, The Political Dimensio-Omar Muslim Al Appendix ،٤١ Their Future Prospects, Dirasat Journal, Human and Social Sciences, Vol. ١,٢٠١٤
3. Ahmed Qassem Hussein,, Smart Power Approaches, International Change Mechanism: The ab Center for Research and Policy Studies, United States of America as a Model, Ar
4. China in the Middle East, Rand Santa Monica Andrew Scoble and Alireza Nader, .٢٠١٦Corporation, California.,
5. Arab Relations: The Case of -Belkacem Ben Daifallah,, Report on the Symposium on Sino boratory for Research and Studies in International Relations, University of Algiers, April La -Algeria .١٤١p. ،٢٠١٦، ١٤
6. First -Bestoon Hussain Arif, The Role of Soft Power in China's Abroad Politics in the Twenty ٣,٢٠١٧Issue ،٣Studies, Volume Education Century, International Journal of Social Sciences and
7. Carola McGiffert,, Chinese Soft Power and Its Implications for US Competition and Cooperation in the Developing World, CSIS Smart Energy Initiative Report, Center for Strategic and ٢٠٠٩International Studies,
8. Charlene Tan and Salih Heron, Education Reform in China: Towards Classroom Societies, ٢٠١٦October article.,
9. Zha Daojiong & Michal Meidan, China and the Middle East in a New Energy Landscape, ٢٠١٥quare, London,es's SROYal Institute of International Affairs, Chatham H St Jam
10. Young Nam Cho, Jong Ho Jeong, China's Soft Power: Discussions, Resources and Prosperets, .٤٦١ (٢٠٠٩No May June ،١٨Asian Survey, Vol
11. operation and Development), Education in China A -OECD (Organisation for Economic Co .٢٠١٦SNAPSHOT, Paris,
12. Osamu Sayama China's Approach to Soft Power Seeking a Balance between Nationalism, Legitimacy and International Influence, Royal United Services Institute for Defence and Security .٢٠١٦Studies,
13. - ١٩٧٨,DEVELOPMENT YEARS OF REFORM AND ٤٠Ross Garnaut & et all, CHINA'S Australia, ،٢٦٠١Published by ANU Press The Australian National University ,Acton ACT ،٢٠١٨ .٢٠١٨
14. Chinese Relations, Political and International Review, Issue -Reda, Arab-Samira Naim Abdel .٢٠١٣، ٢٣
15. iddle East: not just about oil European Union Institute Sebastian Hornschild, China in the M .٢٠١٦(for Security Studies (EUISS
16. Shaun Breslin, The Soft Notion of China's 'Soft Power', Asia Programmed Paper: .٢٠١١London, -ASP. Chatam house
17. y: An Analysis of China's New Sheng Ding ,Chinese Soft Power and Public Diplomac Diaspora Engagement Policies in the Xi Era, EAI Fellows Program Working Paper Series No. .٢٠١٤Copyright by EAI, ٤٣

التأثير السياسي لدور روسيا العسكري في سورية بعد عام ٢٠١٥ على مكانتها الدولية

علي محمد عمران

الملخص

يعد عامل المصلحة محددًا أساسياً للعلاقات الدولية التي دائماً ما تعرف بتحقيق الأمن القومي للدول وضمان الأمن والاستقرار للحياة المعيشية للأفراد ونموها، والسمو بمستوى الحياة العامة. كما تتجه الدول في سياساتها الخارجية نحو تحقيق المكانة في سلم النظام الدولي والعلاقات الدولية، وتجد أن تدخلها في شؤون غيرها من الدول والقضايا الشائكة وملفات الأزمات والمنظمات الدولية وسيلة لتحقيق تلك المكانة المنشودة، حيث تختلف درجة هذا التدخل باختلاف أهمية المصلحة المحققة من خلاله، ومن أمثلة ذلك: دور روسيا العسكري في سورية بعد عام ٢٠١٥، الذي جاء كما نراه الواقعية الهجومية بهدف تحقيق المكانة الدولية لروسيا بالاستناد إلى المكانة الإقليمية التي حققتها في المنطقة ذات الأهمية الجيوسياسية، بالتالي تستطيع تحقيق أمنها القومي وضمان استقرار أوضاعها الداخلية على الصعيد الأمني والاقتصادي وتحسين المستوى الإنتاجي والمعيشي الذي كان ينتاب البلاد منذ السنوات الأولى لانتهاء الاتحاد السوفييتي السابق، إذ أن التدهور المتسارع في الأوضاع الأمنية والاقتصادية أدى إلى تراجع دور روسيا على الساحة الدولية، حيث سعت من خلال دورها العسكري في سورية إلى كسر القيود التي كانت تحول دون زيادة التفاعل بين روسيا ودول الشرق الأوسط لا سيما الدول العربية، إذ كانت سورية الخطوة الأولى لاستعادة العلاقات مع حلفاء الاتحاد السوفييتي. وهذا ما تم فعلاً بعد النجاحات العسكرية والسياسية التي حققتها روسيا في المنطقة وانعكست إيجاباً على مكانتها ودورها في الشرق الأوسط كلاعب أساسي فيه، وساهم أيضاً بتحقيق مكانة دولية لروسيا على الصعيد السياسي.

الكلمات المفتاحية

التأثير السياسي، الأهمية الجيوسياسية، سورية، روسيا، النظام الدولي، الدور العسكري، المكانة الدولية.

The Political Impact of Russia's Military Role in Syria after 2015 on its International Standing

Abstract

National interest is a fundamental determinant of the relations among states and non-state actors, which is represented in achieving national security of the states, and ensuring security; stability of citizen' lives, and the high standard of life. Moreover, the states' foreign policies, tend to achieve important standing within the world politic, where these states consider that intervention into the other states' affairs and the thorny issues, as a means to achieve that desired position, where the extend of this intervention varies due to the importance of the national interest which is achieved through. For example: Russia's military role in Syria after 2015, which aims, according to offensive realism, at achieving an important international standing for Russia, based on the regional position which was gained in the geopolitical region. Consequently, it can achieve its national security, ensure the stability of its internal security and economic status, as well as improving the productive and living level that the .country plagued since the early years of USSR collapse

The accelerating deterioration in security and economy led to the decline of Russia's role in international arena. Therefore, it sought through its military role in Syria to break restrictions that prevented interaction between Russia and Middle East, especially the Arab countries, and Syria was the first step to restore relations with the former allies of USSR, and this what happened indeed after the military and political success that Russia achieved in Syria and its regional surroundings, which reflected positively on its role as a major power in the Middle East. Moreover, it contributed to achieving international position for Russia on the political level.

Key words

The political Impact, Geopolitical Importance, Syria, Russia, International System, Military Role, International Standing.

المقدمة

اتسمت مرحلة ما بعد الحرب الباردة بصعود الولايات المتحدة كقوة عظمى لا منافس لها على كافة الأصعدة، حيث باتت الدول التي تتخذ استراتيجيات وسياسات تتعارض مع الرؤية والاستراتيجية الأمريكية معرّضة للآزمات والأحداث السياسية والخطر العسكري الذي يصل حد استهدافها عسكرياً من قِبل الولايات المتحدة وحلفائها الغرب.

تراجع دور الولايات المتحدة العالمي بعد عام ٢٠٠٨ نتيجة حدوث الأزمة المالية العالمية وتضرر اقتصادها كحال باقي اقتصادات بلدان العالم وجاء هذا الحدث توازياً مع صعود دول إقليمية ودولية ذات وزن فعال في النظام الدولي، بالتالي تراجع دور الولايات المتحدة عن سابقه، مما أتاح فرصة أكبر للدول للتحرك في محيطها الخارجي، والعمل من أجل بناء نظام دولي متعدد الأقطاب كبديل للنظام الأحادي السائد، ومن أهم تلك الدول روسيا، التي انتهجت العديد من السياسات والتحركات خارج حدودها تجسداً للاستراتيجية الأوراسية التي تعمل عليها، حيث تحركت وقامت بدور سياسي فاعل ضمن دول عدة أبرزها سورية وأوكرانيا وليبيا، كخطوات مبدئية للعمل على قيام نظام عالمي جديد.

فيما شكلت الأزمة السورية فرصة للتعبير الفعلي عن توجه القيادة الروسية الذي يتضمن ضرورة القبول بالتعامل مع روسيا على قدم المساواة مع الولايات المتحدة بالتالي القبول الأمريكي لها بلعب دور الشريك لا التابع، فدور حماية الدولة السورية وفّر لروسيا المدخل المناسب لمواجهة الأجندة الأميركية وتحسين تموضع قواتها البحرية على البحر المتوسط في طرطوس، ووفقاً لكتابات المدرسة الأوراسية الجديدة فإن على روسيا أن تتحالف مع الدول العربية المناوئة للتوجهات الأطلسية كسورية باعتبارها تمثل الجبهة الأمامية لمقاومة الخطط الأميركية في المنطقة، وهي في حالة تحالف مع إيران، لا سيما بعد خروج العراق وليبيا من المعادلة الأوراسية، في ظل الهيمنة الغربية في المنطقة^١.

وقد كان الدور العسكري الروسي في سورية بعد عام ٢٠١٥ منعطفاً هاماً في الحياة السياسية للدولة ومنطقة الشرق الأوسط، خاصة بعد أن كانت الدولة السورية معرّضة للإنهيار نتيجة للضغوط والقدرات الكبيرة المطبقة عليها من جميع الدول تقريباً، فضلاً عن دعم القوات الإرهابية المسلحة في سورية بشكل كبير. إذ جاء الدور الروسي ليدحض كل المخططات والسياسات المتبعة ضد سورية من أجل القضاء على النظام السياسي فيها واستبداله بنظام سياسي موالي للغرب. ويؤسس قاعدة استراتيجية لقوة الشرق في وجه قوة الغرب، تكون سورية نقطة البدء أو مركز التوجه الأوراسي في وجه التوجه الغربي أو الأطلسي. والقضاء على النظام الدولي أحادي القطبية، ليحل محله نظام دولي متعدد الأقطاب تتبوأه روسيا الاتحادية والصين والولايات المتحدة على قدم المساواة.

ويقوم هذا البحث على أساس المدرسة الواقعية الهجومية في تفسير الدور العسكري الروسي في سورية، التي تنص أن على الدول تحقيق مكانتها الإقليمية والدولية وقوتها وأمنها القومي من خلال التنافس مع القوى الأعلى منها والموازية لها من أجل الظفر بالمكانة الدولية وتحقيق أمنها القومي بالشكل المستدام والأمثل.

^١ الحارث محمد سبيتان الحلالمة، التدخل العسكري الروسي في سوريا الأسباب والمآلات، الأردن، جامعة الزرقاء، مجلة المفكر، المجلد ١٤، العدد ٢، ٢٠١٩، ص

أولاً: مشكلة البحث:

تقوم العلاقات السورية الروسية تاريخياً على أساس التعاون في شتى المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية، فبعد اندلاع الأزمة في سورية عام ٢٠١١م برز الدور الروسي فيها بشكل كبير، إذ شكّلت روسيا الحليف الذي يجب الاعتماد عليه، حيث أعلنت تضامنها الكامل مع الدولة السورية بوجه كل ما ينتابها من تهديدات أمنية وسياسية مصدرها متطرفون إسلاميون وجماعات إرهابية ممولة من الخارج هدفها الإطاحة بنظام الحكم في سورية واستبداله بنظام موالي للغرب ينتهج السياسات الاقتصادية والخارجية التي تعزز من هيمنته في المنطقة، ووصل هذا التضامن والتعاون إلى حد دخول القوات العسكرية الروسية الحرب لجانب الجيش السوري بعد توقيع اتفاق تعاون عسكري بين الدولتين عام ٢٠١٥ وذلك في ظل نظام دولي يتسم بالأحادية القطبية الجامدة التي ترفض أي نوع من التوغل أو زيادة النفوذ الروسي خارج حدوده السياسية الناجمة عن تفكك الاتحاد السوفييتي السابق خاصة في منطقة الشرق الأوسط بالتالي منعها من تحقيق أي مكانة دولية على حساب النفوذ الأمريكي في العالم.

ونتيجة لما سبق يمكن طرح سؤال البحث الأساسي على الشكل الآتي: ما مدى تأثير الدور العسكري الروسي في سورية بعد العام ٢٠١٥ على واقع مكانة روسيا الدولية (سياسياً)؟

ويتفرع عن السؤال الأساسي مجموعة من الأسئلة الفرعية هي:

- ١- ما الأهمية الجيوسياسية لسورية بالنسبة لروسيا؟
- ٢- ما تأثير دور روسيا العسكري على واقع الأزمة في سورية؟
- ٣- ما التأثير السياسي لدور روسيا العسكري في سورية بعد عام ٢٠١٥ على مكانتها الدولية؟

رابعاً: أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث كونه يدرس طبيعة العلاقات بين الدولتين الروسية والسورية على الصعيدين السياسي والعسكري، ودور روسيا العسكري بعد العام ٢٠١٥ في التأثير على مجريات الأزمة الحاصلة في سورية وتأثير هذا الدور على مكانة روسيا الدولية من الناحية السياسية.

كما يعد البحث هاماً للدارسين والمتخصصين في العلاقات الدولية، خاصة من يمارسون العمل السياسي وصناع القرار عند دراستهم لطبيعة التوجه العسكري الروسي نحو سورية بعد العام ٢٠١٥، والأسباب والأهداف التي أوجبت هذا الدور.

خامساً: أهداف البحث:

- ١_ التعريف بالأهمية الجيوسياسية لسورية بالنسبة لروسيا.
- ٢_ معرفة تأثير دور روسيا العسكري على الأزمة السورية.
- ٣_ تحليل التأثير السياسي لدور روسيا العسكري في سورية على مكانتها الدولية.

سادساً: فرضيات البحث ومتغيراته:

ينطلق البحث من فرضية أساسية وهي:

أثر دور روسيا العسكري في سورية بعد العام ٢٠١٥ بشكل كبير على مكانتها الدولية (من الناحية السياسية).

المتغير المستقل: دور روسيا العسكري في سورية بعد العام ٢٠١٥.

المتغير التابع: مكانة روسيا الدولية (سياسياً).**سابعاً: منهج البحث:**

- ١- تمّ الاعتماد على المنهج التحليلي وذلك لتحليل طبيعة العلاقات الروسية السورية من الناحيتين السياسية والعسكرية وتأثير الدور العسكري الروسي بعد عام ٢٠١٥ على مكانتها الدولية.
 - ٢- كما تمّ الاعتماد على المنهج الوصفي بغية وصف طبيعة الدور العسكري الروسي في سورية بعد عام ٢٠١٥، وتأثيره على مجريات الأزمة فيها، علاوة على منعه تمدد النفوذ الأطلسي في المنطقة، وتحقيق مكانة دولية على الصعيد السياسي.
- ثامناً: الدراسات السابقة:**

- ١- دراسة (الحارث محمد سبيتان الحلالمة ٢٠١٩) بعنوان: التدخل العسكري الروسي في سوريا الأسباب والآلات، الأردن، جامعة الزرقاء، العدد ٢

هدفت هذه الدراسة إلى

- ١- فهم ودراسة الموقف الروسي من الأزمة السورية.
- ٢- معرفة الأسباب التي أدت إلى التدخل العسكري الروسي في سورية.
- ٣- التعرف على المصالح الروسية في إطار الأزمة السورية.
- ٤- التعرف على مآلات التدخل العسكري الروسي في سورية ودراسة مستقبل هذا التدخل.

وتوصلت الدراسة إلى أهم النتائج التالية

- ١- أن لدى روسيا العديد من الأسباب الداخلية والإقليمية والدولية للتدخل عسكرياً في سورية، أهمها أنها تريد استعادة إرث الإمبراطورية السوفييتية ومحاولة إعادة الدور السابق بمزاحمة الولايات المتحدة على قمة الهرم الدولي.
- ٢- تؤيد روسيا الدولة السورية ونظام الحكم القائم فيها، سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، وترى أن الأزمة في سورية عبارة عن صراع دولة ضد جماعات أصولية إرهابية.
- ٣- الأهداف المعلنة للتدخل الروسي واضحة، وهي دعم الدولة السورية وضرب "داعش" والجماعات الإرهابية الأخرى.
- ٤- قد استغلت روسيا الضعف والانكفاء الأمريكي بعد الأزمة المالية العالمية، لتتخذ خطوات هامة ومصيرية خارج حدودها الإقليمية.

- ٢- دراسة (السعيد لوصيف، جيوبوليتيكا السياسة الخارجية الروسية تجاه المنطقة العربية، ٢٠١٩) بعنوان: نحو فهم واقعية روسيا المشروطة، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية،.

هدفت الدراسة إلى

- ١- بيان أهمية الخطاب الجيوبوليتيكي والنظرية الجيوبوليتيكية المعاصرة، ومن ثم فهم الدور المركزي للعامل الجيوبوليتيكي كأهم محدد في توجيه السياسة الخارجية الروسية ومدى تحكمه وتأثيره في بناء الاستراتيجيات الدولية.
- ٢- تحليل توجهات السياسة الخارجية الروسية نحو المنطقة العربية اعتماداً على تحليل مدى تأثير العامل الجيوبوليتيكي (الجيوستاسي)، وهذا خلال فترتي حكم الرئيس فلاديمير بوتين.
- ٣- اثبات أو نفي مدى واقعية السلوك الروسي تجاه المنطقة العربية خاصة من خلال دور روسيا في الأزمة السورية الحالية.

٤_ بناء تصور أوضح للخطاب الروسي الجيوبوليتيكي الجديد من حيث "الحركة_المجال"، ومن ثم تصور انعكاساته على الواقع العربي الإقليمي، خاصة فيما يتعلق ببعض الدول العربية المحسوبة على الشرق الأوسط وبعض دول مجلس التعاون الخليجي المحسوبة على الخليج العربي.
وتوصلت الدراسة إلى أهم النتائج التالية

١_ يعتبر القرن الحادي والعشرين قرن الجيوبوليتيكا بامتياز، ولا يمنع ذلك من القول بأن انتعاش القصة الرمزية النظرية الجيوبوليتيكية المعاصرة يكاد ينهي بصورة بنائية التفكير بالاقتراب المتحد الأوجه لدى أغلب النماذج المعرفية لحقل العلاقات الدولية، بل يستمر النقاش لكن ربما دون جدوى. فالنظرية الجيوبوليتيكية المعاصرة طيف فكري متجدد يخلق جزئياً أغلب الرؤى والاقترايات.

٢_ النظرية الجيوبوليتيكية المعاصرة وأغلب الخطابات الجيوبوليتيكية العالمية الكبرى تنتقل الجغرافيا من الجغرافيا الفيزيائية (العادية) إلى الجغرافيا السياسية ثم إلى الجيوسياسية. ومن ثم فإنها تستبدل مقولة نهاية الجغرافية بمقولة البداية الجيوسياسية.

٣_ اصطدم البحث بمعارضات والتز النظرية حول مسألة تفسير واختبار مدى واقعية السلوك الخارجي الروسي تجاه المنطقة العربية لفترة ما بعد الحرب الباردة فترتي حكم بوتين، لكن رغم ذلك توصل إلى وجود علاقة عارضة قوية تنشأ بين الأسباب الهيكلية (البنوية) للنظام الدولي والسياسة الخارجية الروسية، لكن ذلك لم يلغ بعض الصعوبات المنهجية
٤_ تعد السياسة الخارجية الروسية في جزء كبير منها، خاصة من ناحية جيوسياسية تجاه المنطقة العربية من السياسات الخارجية الراسخة بعمق في التقليد الواقعي بمختلف أطيافه، وهذا عكس ما يعتقد عادة تجاه السلوك الروسي الخارجي على أنه إيديولوجي بحث أو قومي بحث على أن الواقعية الكلاسيكية والواقعية البنوية والواقعية المشروطة أكثر وضوحاً من باقي الواقعيات الأخرى.

٥_ التوجه الواضح للسياسة الخارجية الروسية في المنطقة العربية ككل، ويبدو كذلك أكثر في سورية منه اليوم في باقي دول المنطقة، فموضوع التدخل العسكري في سورية أكبر مثال على ذلك.

تاسعاً: مصطلحات البحث:

أ_ الجيوبوليتيك.

يجمع مصطلح الجيوبوليتيك بين الجغرافية والسياسة، حيث يقوم على الدراسة الجغرافية للدولة من حيث مساحتها الخارجية، وهنا يكون التأكيد على المظهر الجغرافي للعلاقات الخارجية، وهذا هو المفهوم الواسع للجيوبوليتيك، أي أنه العلم الذي يهدف إلى تحويل المعلومات الجغرافية إلى مادة علمية يتزود بها قادة الدول وساستها^٢.

يربط هذا الفكر بين ضغوط البيئة الجغرافية والصراع من أجل بقاء الدولة ونموها كما هو الحال بالنسبة للكائنات الحية التي يعتمد نموها على الحيز المكاني الذي تتحرك فيه. ويستمد هذا المدخل أساسه النظري من الألماني فريدريك راتزل الذي يرى أن حيوية الدولة تعتمد على عدم ثبات حدودها، وهو ما يجعل من الحدود عامل محرك للصراع^٣.

^٢ فاتن ميشيل السهوي، الجغرافية السياسية: قسم الجيوبوليتيك، مقرر أكاديمي، جامعة دمشق، كلية العلوم السياسية، ٢٠٢٣، ص ٢.

^٣ صافي. دنان، الجغرافيا السياسية بين الماضي والحاضر، مركز الكتاب الأكاديمي للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩.

إن الجيوبولتيك هو: العلم الذي يرسم صورة التفاعل بين العوامل الجغرافية للدول والعوامل أو العلاقات السياسية فيما بينها، بالتالي يوظف الجغرافية السياسية للوحدات السياسية، بما يخدم مصالحها خارج حدودها، ويقوي نفوذها ومركزها إقليمياً ودولياً.

ب- النظام الدولي.

يستند مفهوم النظام الدولي على وصف حال العلاقات الدولية والأعمال الدبلوماسية المُحللة والمتربطة مع بعضها البعض كالعُقدة، فهو يُشكل الإطار السياسي القانوني الناظم للعلاقات الدولية خلال فترة وجيزة معينة، والتفاعل الذي يتم بين هذه الوحدات السياسية، هو ذو طبيعة مرحلية؛ وهذا يعني أن موازين القوة الاستراتيجية ستتغير في حال وجود نظام دولي جديد، ولكن تتغير هذه الطبيعة مع وجود مواجهة عسكرية من الممكن أن تكون مُدمرة مثل الحربين العالميتين أو أي صراع شرس أيديولوجي طويل الأمد^٤.

ويعرّف النظام الدولي على أنه "مجموعة القواعد والمعايير والأعراف التي تحكم العلاقات بين الجهات الفاعلة الأساسية في البيئة الدولية، ويوصف النظام الدولي بأنه نمط مستقر ومنظم للعلاقات بين الدول، إذ يعكس جميع الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والبيئية والأشكال الأخرى من التفاعل الذي ينشأ بين الدول"^٥.

ج- الأزمة السورية.

تشهد سورية منذ شهر آذار ٢٠١١ واحدة من أخطر التحديات في تاريخها الحديث المتمثلة في أزمة اجتماعية سياسية عميقة تصاعدت لتصل إلى نزاع داخلي مسلح، وقد كشفت هذه الأزمة عن تعقيد العوامل الداخلية فيها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً على المستويين الداخلي والخارجي، فقد أخذ هذا الصراع أبعاداً متعددة أدت إلى مشهد غير مسبوق من العنف ترافق مع تدخل قوى خارجية في دعم أطراف النزاع^٦.

المبحث الأول: الأهمية الجيوسياسية لسورية ومكانة روسيا الدولية قبل العام ٢٠١٥

تنتم سورية بالموقع الجيوسياسي الهام الذي شكل تاريخياً منطقة صراع وتنافس بين كبار الامبراطوريات والممالك التي عرفها التاريخ ولم يفنى هذا التنافس حتى وقتنا الحاضر نظراً لما يملكه من أهمية جغرافية بالدرجة الأولى بربطه قارات العالم القديم، وتوسطه أهم البحار الاستراتيجية في المنطقة، وغير ذلك من المحددات التي تجعل منها منطقة ذات أهمية على الصعيد الإقليمي والدولي ككل.

المطلب الأول: الأهمية الجيوسياسية لسورية بالنسبة لروسيا

تمتلك سورية أهمية جيوسياسية كبيرة بالنسبة لروسيا، وهذا الأمر ليس بحديث أو جديد أفرزته رؤى واستراتيجيات مفكرين وقادة جدد، وإنما تعود أهمية سورية لروسيا منذ القرن العشرين، خاصة عند تعاظم مكانة الاقتصاد للدول، وجعله محدداً رئيسياً لقوة الدول ومنعتها، وسورية بحكم موقعها تمثل البوابة الرئيسية لدول الشرق الأوسط والعربية على وجه الخصوص،

⁴ The International Society and The International Community, 5/10/2015, law explorer, foreign and international law,

تاريخ الاطلاع ٢٠٢٣/٥/٩. <https://lawexplores.com>

^٥ كامل. علاء فاهم، النظام العالمي الجديد - احتمالات المستقبل، ٢٠١٩، المجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، ص ٢٩٥-٣١٥.

^٦ نصر ربيع وآخرون، الأزمة السورية: الجذور والآثار الاقتصادية والاجتماعية، ٢٠١٣، المركز السوري للبحوث والسياسات في الجمعية السورية للثقافة والمعرفة، دمشق، ص ١٣.

بالتالي تجد روسيا من إقامة علاقات متينة مع سورية وسيلة لتحقيق مكانة لها في هذا الإقليم، التي بالكاد تعطيها مكان دولية.

وخير دليل على ذلك، العلاقات التاريخية المتينة بين روسيا وسورية، إذ قدمت روسيا الدعم السياسي والاقتصادي والعسكري لسورية في الحروب التي خاضتها ضد الكيان الصهيوني، كما ساهمت في إعمار البنى التحتية وبناء الجسور والسدود وغير ذلك من المشاريع التي ساندت الدولة السورية ومنتتت العلاقة بين البلدين.

كذلك تعتبر سورية من أهم المراكز الجيوسياسية والاقتصادية بالنسبة لأطراف المعادلة الدولية الرئيسية، فموقع سورية على ضفة البحر المتوسط الشرقية يجعلها بوابة ساحلية للقارة الآسيوية وبالنسبة للمحور الأطلسي الممثل لقوى البحر التجارية (التالاسوكراتيا) يحتاج إلى موقع سورية لمحاصرة المحور المقابل له وهو المحور الأوراسي القاري قوى اليابسة أو (التيلوروكراتيا) وذلك حسب مبدأ "الأناكوندا" الذي نقله المفكر والسياسي الأطلسي ألفريد ماهان، حيث اعتمد على أفكاره الكثير من الأطلسيين، ويتجسد هذا المبدأ في حصار الأراضي المعادية من البحر وعبر الخطوط الساحلية، وهو ما يؤدي تدريجياً إلى الاستنزاف التدريجي للخصم، بالتالي تكمن مهمة المحور الأوراسي بالحفاظ على الأماد الشاطئية المحيطة بأوراسيا القارية.

كما تتمتع سورية بموقع جيوسراتيجي هام، ذلك كون لها شريط حدودي جيد على البحر المتوسط فضلاً عن خطوط النفط الخام والغاز الطبيعي التي تقع جنوب شرق سورية، القادمة من الجزء الآسيوي للوطن العربي وشمال أفريقيا متجهة إلى السوق الأوروبية.

إن هذه الأهمية الإستثنائية للبحر المتوسط جعلته محط أنظار القوى الكبرى والإقليمية ومحل تنافس وصراع وتحقيق التوازنات بين القوى العظمى والسعي للحصول على مناطق نفوذ في الدول المطلة عليه منذ قرون طويلة.

وبسبب موقع سورية الاستراتيجي يمكن تحديد موقعها في النظريات الجيوبوليتيكية المعتمدة في الدراسات السياسية والجغرافية السياسية الخاصة بأهمية مواقع الكيانات السياسية. تقع سورية ضمن منطقة الهلال الداخلي في نظرية "قلب الأرض" لماكندر الذي اعتبر العالم القديم (آسيا وأوروبا وأفريقيا) قارة واحدة ذات ثلاثة أقسام متلاصقة أطلق عليها "الجزيرة العالمية" يتوسطها البحر المتوسط.

مما أدى إلى عدها جزءاً من الجسر الذي يربط بين القلب الشمالي "المنطقة الممتدة بين الفولغا وشرق سيبيريا" والقلب الجنوبي "جنوب الصحراء الكبرى الأفريقية"، واعتبر موقعها الجغرافي ذات أهمية استراتيجية كبيرة بسبب تحكمها بالطرق التي تربط بين القارات.

وحسب نظرية الارتطام، أو نظرية الإطار الأرضي لنيقولاس سبيكمان فإن سورية تقع أيضاً ضمن الإطار القاري ذي الأهمية الإستراتيجية والمحيط بالقلب الروسي، ومن ثم فإن أهميتهما أكبر منها عند ماكندر، وتعمل الدول الكبرى على الإستفادة منها للولوج إلى عوالم المصالح المتداخلة والمتشابكة.

وفي نظرية "القوة الجوية مفتاح للبقاء" لألكسندر دي سفسكي فإن سورية تقع ضمن منطقة "المصير" وهي أهم المناطق من الناحية الإستراتيجية التي تعني السيطرة عليها السيطرة على الأجزاء الأخرى من العالم^٧.

^٧ حميد حمد السعدون، نظرية ماكندر قراءة جديدة في ظل الهيمنة الأميركية، مجلة الدراسات الدولية، العدد ٢٨، العراق، ٢٠٠٥، ص ٨٩-٩٠.

كما تظهر أهمية ساحل سورية المطل على البحر المتوسط مزايا استراتيجية في ربط المحيط الأطلسي في نظرية "القوة البحرية" لألفريد ماهان، وعليه فقد شكل موقعها الجغرافي أحد المحاور بالغة الأهمية لعملية التوازن الاستراتيجي بين القوى العظمى المتنافسة على النفوذ في المنطقة^٨.

بناء على ما تقدم يمكن القول إن سورية تمتلك مميزات موقعية جيو-استراتيجية لا يمكن تجاهلها بسبب موقعها الجغرافي على البحر المتوسط والمتمركز في قلب العالم القديم الذي يشكل أداة وصل بين الشرق والغرب سواء في أوقات السلم كالتجارة الدولية والملاحة والنقل بأنواعه، أو في أوقات الحرب والذي كان سبباً رئيساً في سعي روسيا لإقامة علاقات متينة مع سورية، ومنافسة القوى الكبرى في هذه المنطقة، وذلك ليكون لها مكانة هامة على الساحة الدولية.

وبعد توضيح مدى أهمية الموقع الجيوسياسي لسورية بالنسبة لروسيا، نتوجه للحديث عن مكانة روسيا في النظام الدولي قبل العام ٢٠١٥، بما يتلاءم مع الغاية الأساسية من البحث، التي تتطوي على دور روسيا العسكري في سورية بعد العام ٢٠١٥ وتأثيره على مكانتها الدولية سياسياً.

المطلب الثاني: مكانة روسيا الدولية قبل العام ٢٠١٥

مثل الاتحاد السوفييتي قطباً موازياً للقطب الأمريكي قبل العام ١٩٩١، وكان لتلك الدولتين الدور الأكبر في التأثير على كافة القضايا والمشاكل حول العالم، وكانت العلاقة بينهما تقوم على أساس التنافس. لكن بعد العام ١٩٩١ وانهيار الاتحاد السوفييتي، تفردت الولايات المتحدة قيادة العالم بأفكارها وسياساتها دون أن يكون هناك أي رادع أو مناهض قادر على منعها.

وبحكم أن روسيا تعد الوريث الشرعي للاتحاد السوفييتي، فهي تسعى جاهدة منذ العام ٢٠٠٠ وتوصل فلاديمير بوتين للحكم إلى استعادة مكانة الاتحاد السوفييتي السابقة كدولة قوية مناهضة للأفكار والسياسات التي تنتهجها الولايات المتحدة والدول الغربية الداعمة لها.

وكان التركيز الروسي بادئ الأمر متجهاً نحو الداخل الروسي بهدف بناء قوة اقتصادية وعسكرية كبيرة تساعد في تحقيق مكانتها الدولية، وهو ما تحقق فعلاً، وبعد ذلك اتجهت روسيا إلى التدخل في مختلف القضايا والحروب والنزاعات والازمات التي تحدث على الصعيد الدولي، لأجل تحقيق مكانة سياسية جديدة تمكنها من إعادة الدور السوفييتي إلى سابق عهده. ومن المعروف أن أي نظام دولي تتحدد عناصره المفهومية وفق مجموعة مقومات رئيسية تتمثل أبرزها فيما يلي: بدايةً يلاحظ أن أي نظام دولي لا بد أن يعرف حالة وجود قوة أو قوى معينة هي التي تمسك بزمام الأمور في نطاقه، وتكون لها الكلمة العليا في توجيه مسار حركة الأحداث بين أطرافه، ومرجع ذلك إلى حقيقة أن النظام الدولي، يقوم أساساً على مبدأ الصراع والمواجهة بين القوى الفاعلة فيه على خلاف الحال في التنظيم الدولي الذي يفترض فيه أنه يقوم على مبدأ التعاون والتآزر.

وثانياً، يلاحظ أن أي نظام دولي لا بد أن تسود فيه طريقة أو طرق معينة لإدارة الازمات أو العلاقات المتبادلة بين أطرافه، وبما يحقق أو على الأقل لا يتعارض والمصالح الوطنية لفئة الدول المهيمنة من بين هذه الأطراف. وثالثاً، أن كل نظام

^٨ زهراء الأسدي. عباس هندي، الجغرافية السياسية للعراق وعلاقتها بدول الجوار الجغرافي، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، العراق،

دولي تتوافر له في العادة سمات وملامح خاصة تميزه بدرجة ملحوظة عن النظام الدولي السابق عليه. ومن هنا، يقال أحياناً أن كل نظام دولي يكاد يرتبط بواقعة أو وقائع معينة تشكل نقطة أو تاريخاً فاصلاً بين مرحلتين مختلفتين لتطور العلاقات الدولية. ومن ذلك مثلاً، أن الواقعة أو الحدث المتمثل في اندلاع الحرب العالمية الأولى قد شكل وبحق أحد الخطوط الرئيسية الفاصلة بين النظام الدولي ذي الطابع الأوروبي الغالب والذي سيطر على العلاقات الدولية منذ قيام الثورة الصناعية ونشوء الامبراطوريات في أوروبا وامتدادها إلى أقاليم ما وراء البحار، والنظام الدولي الذي ساد خلال فترة ما بين الحربين العالميتين^٩.

كما أن نشوب الحرب العالمية الثانية قد مثل بدوره تاريخاً حاسماً يفصل بين فترة ما بين الحربين ومرحلة جديدة سواء في تفاعلاتها السياسية أو في قواعدها الضابطة. وطبقاً للرأي الراجح في أوساط الباحثين المهتمين بتحليل العلاقات الدولية، فإن المرحلة الجديدة لتطور النظام الدولي منذ أوائل عقد التسعينات قد ارتبطت بحدثين كبيرين هما: حرب تحرير الكويت يناير/فبراير ١٩٩١، وانتهاء الاتحاد السوفييتي ديسمبر ١٩٩١. ويرى هؤلاء الباحثون أن العديد من الأحداث التي وقعت على امتداد المسرح الدولي منذ أوائل العقد الحالي لم تكن لتحدث لو أن الاتحاد السوفييتي قد ظل قائماً. ورابعاً أن القاعدة بالنسبة إلى أي نظام دولي أنه يقوم على مجموعة من النظم الدولية الفرعية أو التابعة، التي يمكن لكل منها أن يباشر تأثيراً متفاوتاً على مجمل التفاعلات الحادثة على مستوى النظام الدولي العالمي أو الكوني. ولا شك أن ذلك يتحقق بصفة خاصة في حالة وجود أكثر من قطب واحد على قمة هذا النظام الدولي، وذلك على نحو ما رأيناه مثلاً خلال الفترة الممتدة من نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى الانهيار الرسمي للاتحاد السوفييتي في ٢١ ديسمبر ١٩٩١^{١٠}.

تعد روسيا من الدول النووية في العالم والثانية من ناحية القوة العسكرية بعد الولايات المتحدة الأمريكية، وتعتبر متكافئة مع الولايات المتحدة الأمريكية من ناحية القوة النووية لذلك فإن روسيا تولي أهمية محورية للحفاظ على هذه المكانة الموروثة التي تتطوي على تحقيق هدف بعيد المنال وهو الحفاظ على التكافؤ الاستراتيجي مع الولايات المتحدة الأمريكية لذلك يرى "دونيس ايكار" بأن النقل الدولي لروسيا مرتبط بنسبة كبيرة بمكانتها كقوة نووية، ومع ذلك يؤكد أن السلاح النووي ليس المصدر الوحيد للقوة العسكرية الروسية فثمة القطاع الفضائي وأسلحة أخرى تم التأكيد مؤخراً بأنها لاتزال متطورة جداً^{١١}. تمتلك روسيا صناعة أسلحة كبيرة ومتطورة، قادرة على تصميم وتصنيع معدات عسكرية عالية التقنية، بما في ذلك طائرات مقاتلة من الجيل الخامس، وغواصات تعمل بالطاقة النووية، والأسلحة النارية، وصواريخ بالستية قصيرة-طوية المدى (عابرة للقارات)، فضلاً عن الصواريخ فرط الصوتية العابرة للحدود، التي تنفرد الدولة الروسية بامتلاكها، وتتنبأ بصناعتها سَلَم صناعة الأسلحة النوعية والمتطورة على المستوى العالمي.

صدرت العقيدة العسكرية الروسية الرابعة عام ٢٠١٤. حيث عكست وثيقة العقيدة العسكرية الرابعة التوجهات العامة لمرحلة جديدة من السياسة الخارجية والدفاعية الروسية على نحو واضح، حيث تمثل الإطار العام الحاكم للسياسة الروسية

^٩ علي الدين هلال، النظام الدولي الجديد - الواقع الراهن واحتمالات المستقبل، مجلة عالم الفكر، العدد ٣ و ٤، القاهرة، ١٩٩١، ص ١٠-١١.

^{١٠} علي الدين هلال، مرجع سابق، ص ١١.

^{١١} حسني عماد حسني العوضي، السياسة الخارجية الروسية في زمن فلاديمير بوتين، الطبعة الأولى ٢٠١٧، ألمانيا - برلين، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، الطبعة الأولى، ألمانيا - برلين، ٢٠١٧، ص ١١.

المستقبلية على مدار السنوات القادمة، كما جاءت العقيدة العسكرية الجديدة لروسيا الاتحادية لتؤكد مكانتها كقوة كبرى على الصعيدين الدولي والإقليمي، وعزمها على توظيف قدراتها في الدفاع عن أمنها ومصالحها وعن مواطنيها داخل حدود الاتحاد الروسي وخارجها^{١٢}.

أي أن الاستراتيجية الروسية العسكرية باتت موجهة نحو الخارج، لإعادة الدور الروسي إلى سابق عهده، سواءً على المستوى الإقليمي (الفضاء السوفييتي السابق) أو على المستوى الدولي، خاصة في منطقة الشرق الأوسط، وإن تطلب ذلك خوض حروب أو معارك عدة، كون هامش الحركة الذي أتاحتها الأزمة المالية العالمية عام ٢٠٠٨ للدول نتيجة انكفاء وضعف الدور الأمريكي على الساحة العالمية، بات فرصة من المستحيل أن تتكرر للدول غير القانعة بالنظام الدولي الحالي وتسعى لنمط جديد من العلاقات الدولية مثل روسيا.

بالتالي كانت روسيا قبل العام ٢٠١٥ تسعى لاستعادة مكانتها الدولية التي أزالها انهيار الاتحاد السوفييتي وتفكك المنظومة الاشتراكية، وكانت تنظر إلى التدخل في كافة القضايا الدولية والقضايا الداخلية للدول، لتجد منها وسيلة لاستعادة هذه المكانة، إذ كان لها دور في العديد من القضايا الدولية والداخلية للدول في الفترة ما قبل العام ٢٠١٥. ومن أهم هذه القضايا، الأزمة السورية التي اندلعت عام ٢٠١١، والتي باتت محط صراع نفوذ للقوى الإقليمية والدولية، وهو ما أوجب التدخل الروسي على الصعيد السياسي والاقتصادي بادئ الأمر حتى العام ٢٠١٥.

وتترجم ذلك لاحقاً من خلال الدور العسكري الروسي المباشر في سورية عام ٢٠١٥، بالإضافة إلى التدخل عسكرياً في ليبيا، وإرسال العديد من القوات الخاصة الروسية إلى كازاخستان مطلع العام الماضي بعد أن رأت الحكومة الروسية أن من شأن الأزمة الدائرة هناك أن تمس الأمن القومي الروسي، وتنعكس على علاقاته مع ثاني أكبر دول الاتحاد السوفييتي السابق، فضلاً عن العملية العسكرية الخاصة في أوكرانيا التي قامت بها القوات الروسية في ٢٤ شباط ٢٠٢٢، لتؤكد روسيا من خلالها على أهمية بقاء الدول السوفييتية بعيدة كل البعد عن حلف الشمال الأطلسي (NATO) المناهض لروسيا وتوسعه نحو الشرق.

المبحث الثاني: دور روسيا العسكري في سورية ومكانتها الدولية (سياسياً) بعد العام ٢٠١٥

أثبتت سورية أنها دراسة حالة بالغة الأهمية في الجهود الأوراسية الرامية إلى منع القوة الأطلسية من استخدام القوة ضدها. كان من شأن التدخل في سورية أن يعكس التوجه نحو سياسة ضغط النفقات التي بدأتها إدارة القوة الأطلسية، وهو توجه تعتبره القوة الأوراسية إيجابياً. كما سعت أوراسيا إلى تجنب تغيير الحكومة بمساعدة قوى أجنبية في سورية، وهو ما ستكون له نتائج خطيرة على الدول المحيطة بأوراسيا في حقبة ما بعد الاتحاد السوفييتي والأجزاء المسلمة من الاتحاد الروسي نفسه. إضافة إلى ذلك، كانت سورية مستوراً لصناعة الأسلحة على مدار عقود هذا وتستخدم القوات المسلحة السورية أسلحة أوراسية.

كما أن بعض الضباط السوريين تلقوا تدريباتهم في الدول الأوراسية. وتعد سورية بلداً محورياً بالنسبة إلى التطلعات الأوراسية الجيوسياسية، إذ تحتفظ البحرية الروسية بقاعدة صغيرة لإعادة التزويد والصيانة في ميناء طرطوس السوري. هذه

^{١٢} قلعجية. وسيم خليل، روسيا الأوراسية في زمن الرئيس فلاديمير بوتين، الطبعة الأولى، ٢٠١٦، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٦.

القاعدة الاستراتيجية، التي تعد متواضعة في الوقت الحالي مهمة نظراً إلى الطموحات الأوراسية الرامية إلى لعب دور جيوسياسي أكبر في شرق البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط^{١٣}.

المطلب الأول: الدور العسكري الروسي في سورية بعد عام ٢٠١٥.

تأتي أهمية سورية بالنسبة لروسيا الاتحادية انطلاقاً من العلاقات الثنائية بين البلدين. حيث تعتبر سورية حليف مهم بالنسبة لروسيا الاتحادية في الشرق الأوسط. إذ شكلت العلاقة مع دمشق لبنة أساسية في الاستراتيجية الروسية منذ ما قبل عهد الرئيس حافظ الأسد وتعمقت أكثر في عهده حيث ركز على تطوير علاقة استراتيجية مع الاتحاد السوفيتي ومن بعده روسيا باعتبارها واحدة من الشراكات الاستراتيجية المهمة والأكثر ديمومة واتسمت العلاقات الروسية - السورية في خط سير العلاقات السوفيتية - السورية ومن ثم الروسية - السورية فيما بعد عبر تاريخها الطويل بالثبات والاستقرار إلى حد كبير.

وتعززت العلاقات بينهما بشكل كبير مما جعلها تتجاوز حدود الصداقة التقليدية لتؤسس تعاوناً استراتيجياً في العديد من الملفات والقضايا، وقد انعكس التعاون بين البلدين على مختلف المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والتجارية والثقافية والعلمية، التي ساهمت تاريخياً في وقوف روسيا الاتحادية إلى جانب سورية وتطورها. ويمكن تصنيف الأهداف الروسية في إطار الأزمة السورية إلى عوامل ذات أبعاد تاريخية إستراتيجية اقتصادية وعسكرية^{١٤}.

وستبقى المصالح الروسية في منطقة الشرق الأوسط ككل وسورية بشكل خاص مرتبطة بالأوضاع التي ستؤول إليها الأزمة السورية وبقدرة روسيا على لعبها دور أساسي فيها، لذلك حرصت روسيا على دعم الجيش السوري من خلال العملية العسكرية الروسية في سورية بناء على طلب من الحكومة السورية، ومن أهم محطات العملية العسكرية الروسية في سورية كانت:

- _ أطلقت القوات الجوية الروسية عملية عسكرية بناء على طلب الدولة السورية في ٣٠ أيلول ٢٠١٥.
- _ نشرت بتاريخ ٤ تشرين الأول ٢٠١٥ أنظمة للدفاع الجوي من طراز S-300 في طرطوس.
- _ شاركت سفن البحرية الروسية للمرة الأولى في ٧ تشرين الأول ٢٠١٥ وأطلقت طرادات صاروخية "داغستان" و"غراد سفيازك" وغيرها ٢٦ صاروخاً مجنحاً لضرب ١١ هدف لتنظيم "داعش" في الرقة وحلب وإدلب من بحر قزوين.
- _ استخدمت في ١٧ تشرين الثاني ٢٠١٥ لأول مرة الطائرات الاستراتيجية الروسية "Tu-22"، "Tu-95"، "Tu-160".
- _ نشرت روسيا بطاريات صواريخ مضادة للطائرات من طراز S-400 ضمن قاعدة حميميم في ٢٥ تشرين الثاني ٢٠١٥.
- _ استخدمت روسيا صواريخ "كالبير" بعيدة المدى من تحت الماء في ٨ كانون الأول ٢٠١٥ للمرة الأولى.
- _ بدأ وقف إطلاق النار في إطار اتفاق هدنة وضع من قبل مجموعة دولية بقيادة روسيا والولايات المتحدة في ٢٧ شباط ٢٠١٦.

_ بدء انسحاب الجزء الأكبر من القوات الروسية في سورية بناء على أوامر الرئيس بوتين في ١٥ آذار ٢٠١٦.

^{١٣} ديميتري ترينين، المصالح الروسية في سوريا، مركز مالكوم كير - كارنيغي للشرق الأوسط، ٢٠١٤/٦/١١، www.carnegie_mec.org، تاريخ الاطلاع

٢٠٢٣/٤/٢٩.

^{١٤} الحارث محمد سبيبان الحلامه، مرجع سابق، ص ٢٣-٢٤.

- ٢٧ آذار ٢٠١٦. _ حرّر الجيش السوري بدعم من القوات الجوية الروسية مدينة تدمر في
٢٠١٦. _ ضرب الطيران الروسي بتاريخ آب ٢٠١٦ أهدافاً في سورية مستخدماً للمرة الأولى قاذفاته من مطار همدان العسكري شمال غرب إيران.
- ٢٢ كانون الأول ٢٠١٦. _ حرّر الجيش السوري بدعم من القوات الجوية الروسية مدينة حلب في
- ٣٠ كانون الأول ٢٠١٦ جميع أنحاء سورية وكانت روسيا وإيران وتركيا الجهات الضامنة للهدنة.
- ٤ كانون الثاني ٢٠١٧ أنه تم تدمير ٧٢٥ معسكراً خاصاً بتدريب التنظيمات الإرهابية، وأكد البيان على مقتل ٣٥ ألف مسلح، وتدمير ١٥٠٠ قطعة من المعدات العسكرية التابعة للإرهابيين.
- ١٢ آب عام ٢٠١٧. _ أجرى الجيش السوري عملية إنزال جوي بين حمص والرقّة وشارك في تنظيم العملية مستشارون عسكريون روس في
- ٢١ أيلول عام ٢٠١٧ أن الجيش السوري نجح بتحرير ٨٧,٤ % من الأراضي السورية التي كان يسيطر عليها "داعش"^{١٥}.
- بناءً على ما ذكر يمكن القول أن الاستراتيجية الروسية في تعاطيها مع الأزمة قامت على المزوجة بين القوة الصلبة والقوة السياسية الناعمة وبناء منظومة جديدة للقضية متعددة الأطراف بهدف تحقيق مصالحها في سورية والشرق الأوسط ككل.
- وهناك العديد من العمليات العسكرية والدور العسكري الذي كان حاضراً في بقاع الأرض السورية، ضد الإرهابيين المتطرفين ومشاريع التقسيم المفروضة غرباً من جهة ، والنفوذ والوجود الأطلسي NATO من جهة أخرى.
- "يرتبط الموقف الروسي تجاه الأزمة السورية أساساً بمحددات دولية وأخرى إقليمية ترتبط بدورها بجملة أهداف ووسائل للسياسة الخارجية الروسية، حيث تشمل أهداف السياسة الخارجية الروسية ما يلي:
- ١ _ إضفاء الطابع القومي على السياسة الخارجية الروسية والتأكيد على ضرورة استرداد روسيا لمكانتها التي فنقدتها منذ قيامها وإنهاء الانفراد الأمريكي بموقع القمة العالمية.
- ٢ _ السعي إلى علاقات متميزة وتعاون استراتيجي مع أصدقاء الاتحاد السوفيتي السابقين، لا سيما الهند وإيران والصين.
- ٣ _ الاتفاق مع دول الجوار الإقليمي حول كيفية إقرار السلام والاستقرار في المنطقة.
- ٤ _ الواقعية في التفكير، وزيادة التعاون وتعزيز العلاقات مع كومنولث الدول المستقلة عن الاتحاد السوفيتي.
- ٥ _ السعي إلى تعزيز النفوذ الروسي في الفضاء السياسي للاتحاد السوفيتي السابق.
- ٦ _ منع انتشار الصراعات السياسية والعسكرية المؤدية لعدم الاستقرار بآسيا الوسطى.
- ٧ _ تعزيز الديمقراطية في روسيا.

^{١٥} نتائج العملية العسكرية الروسية في سورية بعد عامين من انطلاقها "، موقع سبوتنيك الإلكتروني ٢٠١٧.

www.sputnik.com تاريخ الاطلاع ٢٢/٤/٢٠٢٣.

وهنا يضاف إلى ذلك أهداف السياسة الخارجية الروسية المتعلقة بالحفاظ على الأمن القومي الروسي وتقوية القدرات الروسية، وتأمين الظروف المناسبة لتطوير الاقتصاد الروسي، ورفض قواعد المباراة الصفرية خصوصاً مع الولايات المتحدة والالتزام بصيغة توازن المصالح وضرورة إقامة نظام دولي متعدد الأقطاب، إضافة إلى مكافحة الإرهاب^{١٦}.

إن الدور العسكري الروسي الفعال والحاسم في الأزمة السورية، جاء لحماية الأمن القومي الروسي بالدرجة الأولى، والحفاظ على سيادة الدولة السورية الشرعية والمشروعة بالدرجة الثانية، وتجسيدا للفكرة التي طرحها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في مؤتمر ميونخ عام ٢٠٠٧ أن النظام الدولي القائم على الأحادية القطبية قد أنتهى. بالتالي يجب العمل وفق نظام تعددية قطبية تتعاون فيه الدول الكبرى من أجل إقرار الأمن والسلم الدوليين وفق ميثاق الأمم المتحدة.

بالتالي استندت روسيا في سياستها نحو سورية على النظرية الواقعية الهجومية التي تؤسس لفكرة: أن "كل الدول في النظام الدولي تسعى لامتلاك القوة من خلال منافسة الدول الأخرى، بل ويتمثل هدفها الأساسي ليس فقط في تعظيم قوتها، بل منع الدول الأخرى المنافسة من امتلاك القوة". لذا، تقوم نظرية الكاتب على خمس افتراضات أساسية، أولها أن الدولة هي الفاعل الرئيسي في السياسات الدولية، ولا توجد سلطة أعلى منها.

ويتعلق الافتراضان الثاني والثالث بالقدرات والنيات. فبالنسبة للقدرات، تؤكد النظرية أن كل الدول تتفاوت في إمكانياتها وقدراتها العسكرية، وهو الأمر القابل للقياس، وتحديد أطره، وحجمه، ومداه، بعكس النيات التي لا يمكن قياسها، لأنها تكمن في رؤوس القادة وصناع القرار. كما أكدت النظرية في افتراضها الرابع أن بقاء الدولة أهم هدف على الإطلاق، وهذا لا يمنع أن يكون للدولة طموحات وأهداف أخرى، لكن المقصود هنا هو أنه حتى تلك الأخيرة لن تتحقق إذا تهدد بقاء الدولة نفسه. لذا ترى النظرية، خامساً أن الدول فواعل عقلانية تتميز بالرشادة التي تجعلها قادرة على البقاء^{١٧}.

لذا من الناحية الواقعية الهجومية، إن التحرك الروسي تجاه الأزمة السورية عام ٢٠١٥ وتضامن عدد من الدول الكبرى معها في هذا المجال، شكّل رسالة واضحة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، بأن النظام الدولي الحالي بات مرفوضاً ومن الصعب العيش والاستمرار في ظل الهيمنة والاستغلال الواضح والمدقع للشعوب المختلفة خاصة دول الشرق الأوسط وشرق آسيا وآسيا الوسطى.

ومما تقدم نجد أن للدور الروسي تأثير كبير على مجريات الأزمة في سورية، إذ أن الدور العسكري الروسي فضلاً عن الدعم السياسي والاقتصادي على الساحة الدولية، ساهم بشكل كبير في الحفاظ على مكانة الدولة السورية ونظام حكمها الشرعي الذي كان معرضاً للتهديد والسقوط أمام التنظيمات الإرهابية التكفيرية المدعومة من قبل أطراف خارجية وتلقى تأييداً كبيراً من الولايات المتحدة الأميركية والغرب.

^{١٦} الحارث محمد سبيتان الحلالمة، مرجع سابق، ص ١٩.

^{١٧} باسم راشد، الواقعية الهجومية: مدخل تفسيري لصعود القوة الصينية في النظام الدولي، ٢٢/٤/٢٠١٤، موقع السياسة الدولية الالكتروني،

<http://www.siyassa.org> تاريخ الاطلاع ٢٥/٣/٢٠٢٣.

المطلب الثاني: تأثير دور روسيا العسكري في سورية بعد عام ٢٠١٥ على مكانتها الدولية (سياسياً).

يقول "لوزيانين": "تبقى سورية بالنسبة لروسيا واحداً من رؤوس الجسور المفتاحية لتوسيع النفوذ الروسي السياسي والاقتصادي والعسكري جزئياً في المنطقة، إن بوسع روسيا أن تستخدم في سورية الساحات القديمة الباقية من العهد السوفييتي (قضية الديون، والكوادر والقاعدة الحربية والبحرية) وبناء ساحات جديدة لتقوية نفوذها"، وهو تأكيد على أهمية البعد الجيوسياسي (الحركة_المجال) للعلاقات في الفضاء الاقتصادي والسياسي والاستراتيجي العسكري بين روسيا وسورية، وفي نفس السياق يؤكد "لوزيانين" بأن الاتحاد السوفييتي سابقاً كان قد أرسى قاعدة ضخمة للتعاون مع سورية وهي ذات طابع عقائدي إيديولوجي، لا اعتبار الاتحاد السوفييتي مصدراً أساسياً لمواجهة الولايات المتحدة الأميركية وإسرائيل في الشرق الأدنى.

غير أن إفلاس إيديولوجيا التحالف الاشتراكي لم تؤد إلى إفلاس إيديولوجيا التعاون الاستراتيجي، ومن وجهة نظر واقعية يؤكد ذلك رسوخ فكرة الحفاظ على سياسات تحالف استراتيجية تخلق موازنة للقوى في النظام الدولي مقارنة بما كان حاصلًا في أوروبا فترة ما بين الحربين العالميتين^{١٨}.

ومن الاستنتاجات المهمة حيال سلوكيات روسيا وتصرفاتها في الشرق الأوسط والمنطقة العربية ككل، أن روسيا تسعى لاستعادة دور القوة العظمى بالموازاة مع القوة فوق العظمى للولايات المتحدة، ومن أهدافها السياسية أيضاً السعي لضمان إشراكها كقطب مهم من بين تعددية قطبية تضمن دورها الفعال في القضايا ذات البعد الإقليمي والدولي والعالمي^{١٩}.

وللدور العسكري الروسي في سورية بعد العام ٢٠١٥ عدداً من الأهداف الاستراتيجية، أهمها:

١_ التغير في ميزان القوى الدولي مع تصاعد القدرات الروسية والتراجع النسبي في القدرات الأميركية، فالنظام الدولي قد تغير بالفعل باتجاه التعددية، وعودة روسيا كقوة فاعلة أصبح واقعاً نتيجة النمو المضطرب في قدراتها الشاملة خلال العقد ونص الماضي، وقد كشفت الأزمة الأوكرانية التي بدأت في تشرين الثاني ٢٠١٣، عن عمق التناقض في المصالح بين موسكو، القوة العائدة، التي تعمل جاهدة على استعادة نفوذها وتأثيرها الدولي والإقليمي، وترفض أن تكون مجرد ظل أو تابع للولايات المتحدة، ولم تعد تقبل النظام الأحادي القطبية التي تتفرد واشنطن بإدارة قضاياها على الصعيدين الدولي والإقليمي وتسعى مع قوى دولية وإقليمية أخرى لتغييره، والولايات المتحدة التي لا تتصور تراجعها عن استراتيجيتها العالمية، ومكانة القائد في النظام الدولي، وترفض أن تشاركها أي قوة أخرى مواطن القوة والتأثير به. وفي الوقت الذي تسعى فيه روسيا إلى إدارة جماعية للشأن الدولي والإقليمي، لا تقبل الولايات المتحدة إلا بانفرادها كقطب أوحده^{٢٠}.

٢_ استنزاف القدرات الاستراتيجية للولايات المتحدة عن طريق مزاحمتها في المنطقة، من خلال سعيها إلى استغلال حالات الفشل العسكري الأمريكي في الشرق الأوسط (وعلى رأسها العراق) من أجل زيادة مكاسبها ونفوذها في المنطقة، وذلك

^{١٨} السعيد لوصيف، جيوبوليتيكا السياسة الخارجية الروسية تجاه المنطقة العربية: نحو فهم واقعية روسيا المشروطة، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، ٢٠١٩، ص ١٢٠.

^{١٩} السعيد لوصيف، مرجع سابق، ص ١٥٢.

^{٢٠} نورهان الشيخ، صعود الدور الروسي في المنطقة: الدوافع والأبعاد، مجلة آراء حول الخليج، العدد ١٠٣، ديسمبر ٢٠١٥.

<https://araa.sa/index.php?view> تاريخ الاطلاع ٢٥/٤/٢٠٢٣.

لدعما للدول الحليفة لها (إيران وسورية) من ناحية، وتخفيفاً من قوة الوجود الأمريكي الاقتصادي والتجاري الكبير في منطقة القوقاز وآسيا الوسطى^{٢١}.

٣_ إعادة تأكيد الوجود الروسي في منطقة الشرق الأوسط، إذ ترى روسيا أنه إذا ما أرادت أن تحفظ هيمنتها على آسيا الوسطى، فيجب أن تعمل على تطوير العلاقات مع إيران وتستعملها كورقة ضغط لمواجهة أي ضغوط أمريكية^{٢٢}. وجدت روسيا في الأزمة السورية فرصة نادرة لاستعادة مرتبتها الدولية التي سبق أن أنهارت إلى الحضيض مع انهيار الاتحاد السوفييتي، وهي تدرك أنها إن لم تدعم نظام الحكم في سورية فإنه سينهار وتقع سورية في قبضة الولايات المتحدة الأميركية، الأمر الذي سيمكّنها من تجديد مسعاها لإقامة شرق أوسط جديد يمتد من أعالي النيل إلى آسيا الوسطى واستكمال بناء الكماشة حول العنق الروسي بين أوروبا الشرقية ودول البلطيق في الغرب والشمال، ولمواجهة هذا الخطر سارعت موسكو إلى تعزيز دعما الدبلوماسية للدولة السورية بدعم عسكري وصل التعبير عنه في كثير من الأحيان إلى مستوى الدفاع عن الأمن القومي الروسي نفسه^{٢٣}.

بناءً على ما سبق نجد أن دور روسيا العسكري في سورية، أعطى روسيا مكانة ودور فاعل على الساحة الإقليمية والشرق أوسطية، تسعى من خلال هذا الدور لتقويض النفوذ الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط ومنطقة آسيا الوسطى ومنطقة غرب روسيا، وذلك بغية تحقيق الأمن القومي الروسي من جهة، وإعادة إحياء الدور السوفييتي في النظام الدولي كقطب ثاني ند للولايات المتحدة الأميركية من جهة أخرى.

فالمكانة الإقليمية التي حققتها روسيا في منطقة الشرق الأوسط خاصة في سورية وليبيا وإيران، أدت إلى إكسابها مكانة دولية في النظام الدولي، ومنه نتجته روسيا مع الصين إلى تحقيق نظام دولي متعدد الأقطاب تقوم العلاقات والسياسات الدولية فيه على أساس الشراكة والتعاون لا الانفراد والاستقطاب الأحادي بقيادة الولايات المتحدة كما هو معهود.

الخاتمة

بعد عرض تفصيلي للأهمية الجيوسياسية للجمهورية العربية السورية بالنسبة لروسيا، ومكانة روسيا في النظام الدولي قبل العام ٢٠١٥، وأهم المساعي الروسية إلى تبوؤ هذا النظام، وعرض طبيعة الدور العسكري الروسي في سورية بعد العام ٢٠١٥، وأهم الأدوار التي قامت بها في هذا الصدد. نرى أن الدور العسكري الروسي في سورية بعد العام ٢٠١٥، (وفق الواقعية الهجومية) أدى إلى القضاء على مخططات الغرب القاضية إلى إسقاط نظام الحكم في سورية وتقسيمها، وجعلها مركز نفوذ لقوى الناتو، ومركزاً للجماعات الإسلامية المتشددة التي تتبع بشكل مباشر لسياسة حزب العدالة والتنمية بقيادة اردوغان في تركيا. الأمر الذي أكسبها مكانة إقليمية كبيرة على الصعيد الاستراتيجي والاقتصادي والسياسي والعسكري في سورية والشرق الأوسط، كما أكسبها دور ومكانة دولية جديدة في النظام الدولي على الصعيد السياسي (أي أن الدور

^{٢١} الكريم. أماني عبد، سليمان. علي، أثر التدخل الروسي في الشرق الأوسط على هيكل النظام الدولي، (٢٠١١-٢٠١٦)، المركز الديمقراطي العربي.

^{٢٢} <https://democraticac.de/?p=34573> تاريخ الاطلاع ٢٠/٤/٢٠٢٣.

^{٢٣} خديجة لعربي، السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الأوسط بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، رسالة ماجستير، جامعة بسكرة، ٢٠١٣-٢٠١٤، ص ١١٣.

^{٢٤} كاظم عكر، عن الدور الروسي في الأزمة السورية وقضايا المنطقة: حوار مع الدكتور خالد العزي، موقع لبنان الجديد الالكتروني، ٢٨/٩/٢٠١٧،

<https://www.newlebanon.info> تاريخ الاطلاع ٢٩/٤/٢٠٢٣.

- العسكري الروسي في سورية بعد العام ٢٠١٥، أدى إلى تغيير في مكانتها الدولية سياسياً والتي كانت تتمتع بها قبل العام سالف الذكر). ومن أهم النتائج التي تم التوصل إليها:
- ١_ تتمتع سورية بأهمية جيوسياسية كبيرة، كونها تتوسط قارات العالم الثلاث وتعد بوابة الشرق الأوسط من الغرب، وبوابة العالم العربي من الشمال، وخط الدفاع الأول بوجه الكيان الصهيوني، وتمتلك موارد طبيعية هامة جداً من النفط والغاز والفوسفات وغير ذلك.
 - ٢_ إن الموقع الجغرافي المتميز، جعلها أمام تحديات ومخاطر تتمثل في سعي الولايات المتحدة وحلفائها أن يكون لهم نفوذ في هذه المنطقة على حساب الدولة السورية.
 - ٣_ إن اندلاع الأزمة السورية ما هو إلا وسيلة لتحقيق مخططات الناتو داخل أراضي الجمهورية العربية السورية، إذ تترجم ذلك من خلال تدخلها بشكل متسارع في الأزمة منذ الأيام الأولى لاندلاعها.
 - ٤_ كان لدور روسيا العسكري تأثير كبير في صد هذه المخططات، والحيلولة دون سقوط الدولة السورية، كذلك أدى دور فعال في دحر الإرهاب والجماعات الإسلامية الأصولية التي تتبع بشكل مباشر لمموليها وتخدم استراتيجياتهم وسياساتهم في المنطقة.
 - ٥_ وفق المدرسة الواقعية، أكسب الدور العسكري روسيا مكانة هامة على الصعيد الإقليمي، وباتت إحدى أهم الفواعل الرئيسية في المنطقة بعد العام ٢٠١٥.
 - ٦_ إن الواقع الذي أفرزه الدور العسكري الروسي في سورية بعد العام ٢٠١٥ (وفق الواقعية الهجومية) ساهم بشكل كبير في إكسابها أهمية ومكانة دولية، وجعلها في مصاف الدول الكبرى سياسياً، وتترجم ذلك من خلال دور روسيا الفاعل في كل من سورية وليبيا وكازاخستان وأوكرانيا وغيرها.

المراجع

أ- الكتب:

- ١- الحارث محمد سبيتان الحلالمة، التدخل العسكري الروسي في سوريا الأسباب والمآلات، الأردن، جامعة الزرقاء، مجلة المفكر، المجلد ١٤، العدد ٢، ٢٠١٩.
- ٢- فانتن ميشيل السهوي، الجغرافية السياسية: قسم الجيوبولتيك، مقرر أكاديمي، جامعة دمشق، كلية العلوم السياسية، ٢٠٢٣.
- ٣- صافي. دنان، الجغرافيا السياسية بين الماضي والحاضر، مركز الكتاب الأكاديمي للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩.
- ٤- نصر ربيع وآخرون، الأزمة السورية: الجذور والآثار الاقتصادية والاجتماعية، ٢٠١٣، دمشق: المركز السوري للبحوث والسياسات في الجمعية السورية للثقافة والمعرفة.
- ٥- حسني عماد حسني العوضي، السياسة الخارجية الروسية في زمن فلاديمير بوتين، الطبعة الأولى، ألمانيا- برلين، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، الطبعة الأولى، ألمانيا- برلين، ٢٠١٧.
- ٦- قلعجية. وسيم خليل، روسيا الاوراسية في زمن الرئيس فلاديمير بوتين، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٦.
- ٧- السعيد لوصيف، جيوبولتيكيا السياسة الخارجية الروسية تجاه المنطقة العربية: نحو فهم واقعية روسيا المشروطة، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، ٢٠١٩.

ب- المجلات العلمية:

- ١- كامل. علاء فاهم، النظام العالمي الجديد -احتمالات المستقبل، ٢٠١٩، المجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية.
- ٢- د. علي الدين هلال، النظام الدولي الجديد -الواقع الراهن واحتمالات المستقبل، مجلة عالم الفكر، العدد ٣ و٤، القاهرة، ١٩٩١.
- ٣- حميد حمد السعدون، نظرية ماكندر قراءة جديدة في ظل الهيمنة الأميركية، مجلة الدراسات الدولية، العدد ٢٨، العراق.

ج- الرسائل العلمية:

- زهراء الأسدي. عباس هندي، الجغرافية السياسية للعراق وعلاقتها بدول الجوار الجغرافي، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، العراق، ٢٠١٢.
- خديجة لعربي، السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الأوسط بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، رسالة ماجستير، جامعة بكرة، ٢٠١٣.

د- المواقع الالكترونية:

- ١- The international society and the international community, 5/10/2015, law explorer, foreign and international law, <https://lawexplores.com>
- ٢- ديميتري ترينين، المصالح الروسية في سوريا، مركز مالكوم كير- كارنيغي للشرق الأوسط، ٢٠١٤/٦/١١. www.carnegie_mec.org
- ٣- "تتائج العملية العسكرية الروسية في سورية بعد عامين من انطلاقها"، موقع سبوتنيك الإلكتروني ٢٠١٧. www.sputnikcom
- ٤- باسم راشد، الواقعية الهجومية:مدخل تفسير لعودة القوة الصينية في النظام الدولي، ٢٠١٤/٤/٢٢، موقع السياسة الدولية الالكتروني، <http://www.siyassa.org>.
- ٥- نورهان الشيخ، صعود الدور الروسي في المنطقة: الدوافع والابعاد، مجلة آراء حول الخليج، العدد ١٠٣، ديسمبر ٢٠١٥. <https://araa.sa/index.php?view>
- ٦- الكريم. أماني عبد، سليمان. علي، أثر التدخل الروسي في الشرق الأوسط على هيكل النظام الدولي، (٢٠١١-٢٠١٦)، المركز الديمقراطي العربي. <https://democraticac.de/?p=34573>
- ٧- كاظم عكر، عن الدور الروسي في الأزمة السورية وقضايا المنطقة: حوار مع الدكتور خالد العزي، موقع لبنان الجديد الالكتروني، ٢٠١٧/٩/٢٨. <https://www.newlebanon.info>

حماية الحق في التعليم في ظل النزاعات المسلحة

دراسة تطبيقية على الجمهورية العربية السورية بين أعوام ٢٠١١-٢٠٢١

كارون كوركجيان

ملخص

شغلت حماية الحق في التعليم أهمية بارزة في حقوق الإنسان لما له من دور حيوي في تنمية المجتمعات وحماية الأطفال من سوء المعاملة والإهمال وتعزيز وتحقيق علاقات مستقرة ومتناغمة بين الأمم وبناء المجتمعات، ول سوء الحظ، غالباً ما يُفقد هذا الحق في البلدان التي تشهد نزاعات مسلحة، حيث لا يُعتبر في كثير من الأحيان بنفس أهمية الحقوق الأخرى مثل الحق في الحياة وتأمين الغذاء والصحة والاحتياجات الأساسية للبقاء على قيد الحياة، وغالباً ما يتم تجاهله. ومع ذلك، يعد التعليم في هذه المواقف أمر مهم لكل طفل لأنه ذو أهمية كبيرة لرفاههم النفسي والجسدي، وبالمثل، يوفر التعليم ضماناً للمستقبل وتطوره. أثرت سنوات الحرب في سورية على حماية حق التعليم وجودته، فخرج عدد كبير من المدارس عن الخدمة وتعطيلها وعدم وجود الإمكانات المادية الكافية لإعادة الوضع إلى استقراره أدى إلى تراجع جودة التعليم وفقدانه في بعض المناطق ونقص أعداد المعلمين وتسرب الطلاب، وحاولت الجمهورية العربية السورية بإعادة الوضع التعليمي إلى مستواه الطبيعي، ولكن ومع إمكاناتها المحدودة وفي ظل الواقع الاجتماعي والاقتصادي الصعب حاولت سورية وبمساعدة المنظمات الدولية والمنظمات الحكومية غير الربحية وبالتعاون مع بعض الدول تأمين المستلزمات الأساسية لحماية هذا الحق وتأمين استمراره رغم التحديات الالامتناهية.

الكلمات المفتاحية: حق التعليم- النزاعات المسلحة- القانون الدولي الإنساني

Protecting the Right to Education During Armed Conflicts Case study on the Syrian Arab Republic between the years 2011- 2021

Abstract

The protection of the right to education plays an important role as a human right because of its major affect in the development of societies and the protection of children from abuse or neglect, in order to achieve stable and harmonious relations between nations and build societies. Unfortunately, this right is often neglected in countries experiencing armed conflicts, where education is often not considered as important as other rights such as the right to life, food security, health, basic needs for survival, etc. and is often ignored. However, education in these situations is important for every child because of its great importance to their psychological and physical well-being, and similarly, education provides a guarantee for future development.

The years of conflict in Syria affected the protection of the right to education and its quality. A large number of schools went out of service, and the lack of sufficient material resources to restore the situation to stability led to a decrease in the quality of education, a shortage of teachers and dropouts of students. The Syrian Arab Republic tried to restore the situation, However, with its limited capabilities and in light of the difficult social and economic reality, Syria tried, with the help of international organizations and non-profit governmental organizations, and in cooperation with some countries, to secure the basic requirements to protect this right and ensure its continuity despite the endless challenges.

المقدمة

للنزاعات المسلحة تأثير كبير على المجتمعات الإنسانية لما لها من أضرار على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ويتم خلال النزاعات المسلحة تطبيق القانون الدولي الإنساني بالإضافة إلى استمرار تطبيق القانون الدولي لحقوق الإنسان، ومن بين هذه الحقوق حق التعليم، وقد تداخلت وجهات النظر حول حماية هذا الحق في ظل النزاعات المسلحة، حيث جذب الحق في الغذاء والماء والرعاية الصحية وغيرها من الحقوق اهتماماً أكبر من حق التعلم في ظل النزاعات المسلحة لما لها من أهمية في البقاء على قيد الحياة والنجاة.

شهدت سورية خلال فترة الحرب التي مرت على البلاد لا سيما بين أعوام ٢٠١١ و ٢٠٢١، أزمة من نوع آخر، وهو تدهور وضع هذا الحق بسبب انعدام الأمن في بعض المناطق وشن الهجمات العشوائية على مرافق التعليم من قبل الجماعات المسلحة، إلا أن التعليم لا يمكنه الانتظار، فالطبيعة الممتدة زمنياً للنزاعات المسلحة تؤثر على مستقبل أجيال بأسرها، ومن دون إمكانية الحصول على التعليم سينشأ جيل دون أن يكتسب المهارات التي يحتاجها ليساهم في تطور بلدانهم، ما يجعلنا أمام مشكلة جديدة بالبحث.

مشكلة البحث: في ظل التأثير الضار قصير وطويل الأمد للنزاعات المسلحة على حق التعليم وانعكاس ذلك على تطور المجتمعات، كان لا بد من التعرف على أهم القواعد الدولية التي تحمي هذا الحق، وخلال الحرب التي دامت لأكثر من ١٠ سنوات في سورية، من المهم جداً تسليط الضوء على مدى تأثير النزاع على هذا الحق ووضع التعليم في الجمهورية العربية السورية وكيفية تصديدها ومواجهتها لهذه الأزمة.

ويطرح البحث السؤال الأساسي التالي: ما مدى فعالية القواعد القانونية الدولية التي تحمي حق التعليم في ظل

النزاعات المسلحة؟

يتفرع عن السؤال الأساسي البحث التساؤلات التالية:

- ١- ما هي القواعد القانونية التي تحمي حق التعلم في زمن السلم والحرب؟
- ٢- ما مدى تأثير النزاع المسلح على حق التعلم في سورية؟
- ٣- ما الإجراءات التي اتبعتها الجمهورية العربية السورية لحماية حق التعلم؟

منهج البحث: تم اعتماد المنهج الوصفي والتحليلي

أهداف البحث:

- ١- تحديد القواعد القانونية التي تحمي حق التعلم في ظل السلم والحرب
 - ٢- تحليل آثار النزاعات المسلحة على استمرارية العملية التعليمية وحماية حق التعليم
 - ٣- تحديد بعض الممارسات والطرق التي تلجأ لها الدول لمواجهة هذه الأزمة.
- أهمية البحث:** في ظل وجود عدد كبير من الأطفال غير الملتحقين بالمدارس والإجهاد الكبير الذي تعاني منه نظام التعليم في سورية ونقص التمويل كان لا بد من التطرق لهذا الموضوع لما له من أهمية وفائدة للقائمين على تطوير العملية التعليمية وتأهيل مرافقها، خاصة في فترة ما بعد النزاع وإعادة الإعمار وضرورة النهوض بالعملية التعليمية وجودتها.

المبحث الأول: حق التعليم والإطار القانوني والدولي لحمايته

التعلم مصطلح واسع يشمل جميع الأنشطة المعتمدة لتلبية حاجات التعلم، وتشمل الأنشطة الثقافية أو التدريبية، ويضم بالإضافة إلى التعليم النظامي كلا من تعليم الكبار وتعليم ذوي الاحتياجات الخاصة^١. ولا يشير إلى أنواع التعليم ومستوياته فقط، بل يشمل أيضاً الوصول إلى التعليم وجودته والظروف التي تعطى فيه، حيث يعد التعليم العنصر الأكثر حيوية في محاربة الفقر، وتمكين النساء، وتعزيز حقوق الإنسان، لذلك اهتمت العديد من الأنظمة القانونية بحمايته، وخصوصاً القانون الدولي لحقوق الإنسان باعتبارها إحدى الحقوق الأساسية، بالإضافة إلى القانون الدولي الإنساني والجنائي والعرفي.

المطلب الأول: حماية حق التعليم في ظل القانون الدولي لحقوق الإنسان

يتم حماية حق التعليم أوقات السلم خلال القوانين الوطنية الخاصة بكل دولة التي تضمن حقوق رعاياها، كما يطبق القانون الدولي لحقوق الإنسان وهي التزامات تقع على الدول اتجاه رعاياه، في جميع الظروف وفي جميع الأوقات لكن نطاق تطبيقه قد يُحد أثناء النزاعات المسلحة، ومن الجدير بالذكر أن الحق في التعليم لا يعد شيء مجرد، فهو يؤثر في المعلمين والطلاب والمواد والمباني والمرافق التعليمية.

أولاً: حماية حق التعليم وفق حقوق الإنسان: جميع حقوق الإنسان متداخلة ومتراصة مما يعني أن الحق في التعليم ضروري لإعمال حقوق أخرى كالحق في العمل، وحرية التعبير، والحق في التجمع، وعلى هذا الأساس، يمكن اعتبار الحق في التعليم بمثابة "المفتاح الذي يطلق حقوق الإنسان الأخرى"^٢.

كرّس الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الحق في التعليم للمرة الأولى على مستوى عالمي، حيث يكون "لكل شخص الحق في التعليم، ويجب أن يكون في مراحله الأولى بالمجان، والتعليم الابتدائي إلزامياً"^٣.

ولمبدأ عدم التمييز والمساواة أهمية في الحق في التعليم، حيث تم اعتماد اتفاقية اليونسكو لمكافحة التمييز في مجال التعليم، ونصت على الدول الأطراف جعل التعليم الابتدائي مجانياً وإلزامياً وجعل مستويات التعليم الأخرى متاحة للجميع^٤، واعتبرت هذه الاتفاقية في مقدمة صكوك اليونسكو التي تضع المعايير المتعلقة بالتعليم وبالإعمال الكامل لهذا الحق^٥.

ورد حماية حق التعليم في العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية ضمن الحق في حرية الفكر والوجدان والدين^٦، ومع اعتماد العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، أصبح الحق في التعليم حقاً ملزماً قانوناً،

^١ إسكد ١٩٩٧، التصنيف الدولي المقتن للتعليم، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦، ص ٩-١٣. متاح على: https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000146967_ara

^٢ Katarina Tomasevski, Education Denied, costs and remedies, Zed Books, London, 2003, p32. available on: <https://shorturl.at/atuwT>

^٣ انظر: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ١٩٤٨، المادة (٢٦) متاح على: <https://shorturl.at/ghiqR>

^٤ انظر: اتفاقية مكافحة التمييز في مجال التعليم، ١٩٦٠، المادة (٤)، متاح على: <https://shorturl.at/nyWZ8>

^٥ The Right To Educate, UNESCO, 02/02/2023, retrieved on 31/07/2023 at 11:56, available on: <https://www.unesco.org/en/right-education/convention-against-discrimination>

حيث ورد في مادتين تقر بحق كل فرد في التربية والتعليم، وتضمن لجعل التعليم الابتدائي الزامي ومتاح، وتعميم التعليم الثانوي والتعليم العالي للجميع^٢، كما تضمن الدول الزامية ومجانية التعليم الابتدائي في بلدها وفي الأقاليم تحت ولايتها^٣، وبموجبه فإن الحق في التعليم يجب أن يتحقق بأقصى ما تسمح به الموارد المتاحة في الدولة^٤، لكن ظروف النزاعات المسلحة قد تحد من توافر هذه الموارد، مما يؤثر على قدرة الدولة على الإعمال الكامل لهذا الحق، وثمة حالات يصبح فيها تقييد الحق في التعليم مسموحاً به وقانونياً. فوق العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، فإن تقييد التمتع ببعض الحقوق "بما فيها الحق في التعليم" قد يكون مشروعاً فقط في ظروف استثنائية جداً^٥.

اعترفت اتفاقية حقوق الطفل بحق كل طفل في التعليم الابتدائي المجاني، وأن تكون موجهة لتنمية شخصية الطفل، وتشجع على تطوير التعليم الثانوي والتعليم العالي، كما تتعهد الدول الأطراف بتعزيز وتشجيع التعاون الدولي فيما يخص التعليم^٦، وتراعى احتياجات البلدان النامية في هذا الصدد.

ثانياً: حماية الطلاب وكوادر التدريس وفق حقوق الإنسان: يتمتع الطلاب وموظفو التعليم بالحماية بموجب عدد من الحقوق المدنية والسياسية، مثل الحق في الحياة، وعدم التعذيب، وحظر الرق، والحق في الحرية والأمان، بما في ذلك حظر الاحتجاز والاختطاف أو الاعتقال التعسفي وغيرها من ضروب المعاملة اللاإنسانية^٧، كما ورد في اتفاقية حقوق الطفل أن لكل طفل حق أصيل في الحياة، وعدم التعرض التعسفي والغير قانوني له، والحماية من كل أشكال العنف والإساءة والاستغلال^٨. وجاء البروتوكول الاختياري لاتفاقية حقوق الطفل بشأن اشتراك الأطفال في المنازعات المسلحة ليؤكد على جميع الأطراف اتخاذ التدابير اللازمة لعدم اشتراك الافراد اللذين لم يبلغو الـ ١٨ في النزاعات المسلحة وعدم اشراكهم في عمليات التجنيد الاجباري^٩.

^١ العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية ١٩٦٦، المادة (١٨) الفقرة ١، متاح على: <https://shorturl.at/szHR7>

^٢ العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ١٩٦٦، المادة (١٣) الفقرتين ١ و ٢، متاح على: <https://shorturl.at/vyS23>

^٣ المرجع السابق، المادة (١٤).

^٤ المرجع السابق، المادة (٢)، انظر أيضاً: اتفاقية حقوق الطفل المادة (٤).

^٥ من الممكن عدم التقييد بحكم من أحكام معاهدات حقوق الإنسان بموجب ظروف معينة وتوافر شرطين، هما وجود حالة من الطوارئ، والإعلان الرسمي للدولة لعدم التقيد تُعلم فيه الدول الأخرى الأطراف في المعاهدة فوراً. لمزيد من المعلومات: العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية المادة (٤).

^٦ اتفاقية حقوق الطفل، ١٩٨٩، المادة (٢٨)، متاح على: <https://shorturl.at/rCLX2>

^٧ العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، المواد: (١-٦) و (٧) و (١-٨) و (١-٩)، وانظر: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان المواد: (٣) و (٤) و (٥) و (٩).

^٨ اتفاقية حقوق الطفل (مرجع سبق ذكره)، المواد: (١-٦) و (١-٦) و (١-١٩).

^٩ البروتوكول الاختياري لاتفاقية حقوق الطفل بشأن اشتراك الأطفال في المنازعات المسلحة ٢٠٠٠، المادتين (١) و (٢)، متاح على: <https://shorturl.at/mEKN0>

ثالثاً: حماية المرافق التعليمية وفق حقوق الإنسان: بما أن وظيفة القانون الدولي لحقوق الإنسان تنصب لحماية حقوق الأشخاص، فإن أحكامه لا توفر حماية مباشرة للمنشآت بحد ذاتها مثل المرافق التعليمية، إلا أن التدمير غير المشروع للمرافق التعليمية أو تعطيلها يؤدي إلى انتهاكات أخرى. فوفقاً لاتفاقية حقوق الطفل تكفل الدول الأطراف الاعتبار الأول لمصلحة الطفل، وتنفيذ المؤسسات والإدارات والمرافق المسؤولة عن رعاية الأطفال بالمعايير التي وضعتها السلطات المختصة،

ولا سيما في مجالي السلامة والصحة، وفي عدد موظفيها وصلاحياتهم للعمل^١، وينص العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على العمل على إنشاء شبكة مدرسية على جميع المستويات، ومواصلة تحسين أوضاع العاملين في التدريس^٢.

رابعاً: آليات رصد انتهاكات حماية حق التعليم وقت السلم: يقع على عاتق الدولة نفسها حماية حقوق الإنسان في المناطق التابعة لولايتها عبر قوانينها الوطنية، كما هناك نوعان من آليات رصد حقوق الإنسان على المستوى الدولي، هما الهيئات التي ترصد تنفيذ المعاهدات الدولية الأساسية لحقوق الإنسان عبر لجان تضم خبراء مستقلين، مثال ما ورد في اتفاقية حقوق الطفل حيث "تتشأ لغرض دراسة التقدم الذي أحرزته الدول الأطراف في استيفاء تنفيذ الالتزامات التي تعهدت بها لجنة معنية بحقوق الطفل"^٣، لكن يفترض أن تكون الدولة طرف في الاتفاقية كي تلجأ إلى هذه الآليات. تتمثل الآلية الثانية بالهيئات المنشأة بموجب الميثاق التي تشمل مجلس حقوق الإنسان والإجراءات الخاصة والاستعراض الدوري الشامل والتحقيقات التي كلف مجلس حقوق الإنسان بإجرائها وعلى جميع الدول اتباعها، فالإجراءات الخاصة مثلاً تضم مجموعة من الخبراء المستقلين في مجال حقوق الإنسان مكلفين لرفع التقارير وتقديم المشورة بشأن حالات الحقوق في البلدان، أما الاستعراض الدوري الشامل يفرض على الدول إرسال تقارير دورية تعلن فيها عن حالة الحق المعني في البلاد والصعوبات التي واجهتها والإجراءات التي اتبعتها لتحسين حالة الحق المذكور^٤.

المطلب الثاني: حماية حق التعليم في ظل القانون الدولي الإنساني

يبدأ تطبيق القانون الدولي الإنساني عند بدأ النزاعات المسلحة بغض النظر عن مشروعية أو عدم مشروعية النزاع، وتهدف قواعده للحد من تأثير النزاعات المسلحة على الفئات الأكثر ضعفاً وتنظيم وتقييد استخدام أساليب الحرب، وجرت العادة في النزاعات المسلحة أن حماية الحقوق الأساسية وأمور البنية التحتية تعطى أولوية على بعض الحقوق الأخرى كالتعليم. ويتسبب محدودية الوصول إلى التعليم أثناء النزاع المسلح بتأثير طويل الأمد على الأطفال يتعدى تهديد سلامتهم النفسية

^١ المرجع السابق، المادة (٣-٣)

^٢ العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية (مرجع سبق ذكره)، المادة (١٣-٢-د)

^٣ اتفاقية حقوق الطفل (مرجع سبق ذكره)، المادة (٤٣) الفقرة ١.

^٤ لمزيد من المعلومات انظر موقع المفوض السامي للأمم المتحدة، متاح على: <https://www.ohchr.org/ar/instruments-and-mechanisms>

والجسدية، وكذلك التشريد القسري وتجنيد الأطفال وتدمير المنشآت التعليمية واستخدامها كميادين تدريبية للقتال، ومن الممكن أن ينقطع التعليم بالكامل نتيجة انعدام الأمن والنزاعات المسلحة.

أولاً: حماية حق التعليم وفق القانون الدولي الإنساني: لا ينص القانون الدولي الإنساني على الحق في التعليم، إلا أن الكثير من أحكامه تهدف إلى ضمان حماية الطلاب وكوادر التدريس والمرافق التعليمية^١. فيما يخص النزاعات المسلحة الدولية تكفل اتفاقية جنيف الرابعة حماية الحق في التعليم للأطفال الأكثر ضعفاً، وتوجب على أطراف النزاعات المسلحة الدولية اتخاذ التدابير الضرورية لتيسير التعليم وإتاحته في جميع الظروف^٢، كما تحدد الاتفاقية التزامات على جهة الاحتجاز فيما يتصل بتعليم المحتجزين تمنح لهم جميع التسهيلات لمواصلة دراستهم، وتؤكد ألا يكون الاعتقال مبرراً لحرمان المدنيين من التعليم^٣، وتوجب على دول الاحتلال الاستعانة بالسلطات الوطنية لضمان حسن تشغيل المنشآت التعليمية^٤. أكد البروتوكول الإضافي الأول أن على جميع أطراف النزاع أن يوفرُوا للأطفال العناية والعون اللذين يحتاجون إليهما^٥، ورغم أن هذه المادة لا تأتي على ذكر التعليم بشكل صريح، إلا أنها تؤكد على ضرورة توفير المرافق الضرورية لنمو الأطفال الطبيعي وبقدر المستطاع في النزاع المسلح.

فيما يخص النزاعات المسلحة الغير دولية ينص البروتوكول الإضافي الثاني على أنه يجب توفير الرعاية والعون للأطفال ويجب أن يتلقوا التعليم بما في ذلك التربية الدينية والأخلاقية^٦.

ثانياً: حماية الطلاب وكوادر التدريس وفق القانون الدولي الإنساني: يركز القانون الدولي الإنساني على توفير الحماية البدنية للفئات الأكثر ضعفاً، ولا يتطرق لمعالجة قضايا أخرى بما فيها الحصول على التعليم، وبالتالي فهو "يركز فقط على تلك الآثار وليس القضايا العامة"^٧، إلا أنهم كمدنيين يبقون في ظل حماية هذا القانون، ففي النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية يتمتع المدنيون بحماية عامة ضد الأخطار الناجمة عن العمليات العسكرية، ما لم يشاركوا بشكل فعال في العمليات العدائية^٨، ويحظر القانون الدولي الإنساني صراحة الاعتداء على الحياة واستخدام التعذيب وأخذ الرهائن وغيره من المعاملة اللاإنسانية في جميع الأوقات^٩.

^١ For more info: Tavassoli Manuchehr, Education right of children during war and armed conflicts, ScienceDirect, Elsevier Ltd., Iran, 2011, p304.

^٢ اتفاقية جنيف الرابعة بشأن حماية الأشخاص المدنيين في وقت الحرب ١٩٤٩، المادة (٢٤)، متاح على: <https://shorturl.at/apwFZ>

^٣ المرجع السابق، المادة (٩٤)

^٤ المرجع السابق، المادة (٥٠)

^٥ البروتوكول الأول الإضافي لاتفاقيات جنيف ١٩٧٧، المادة (٧٧)، متاح على: <https://shorturl.at/noqr4>

^٦ البروتوكول الثاني الإضافي لاتفاقيات جنيف ١٩٧٧، المادة (٤-٣-أ)، متاح على: <https://shorturl.at/bszB4>

^٧ كريستين هوسلر، نيكول إيربان وآخرون، حماية التعليم في ظروف انعدام الأمن والنزاعات المسلحة، دليل قانوني دولي، مركز الأمم المتحدة للتدريب والتوثيق في مجال مجال حقوق الإنسان لجنوب غرب آسيا والمنطقة العربية، قطر، ٢٠١٠، ص١٤٨.

^٨ انظر: البروتوكول الإضافي الأول، (مرجع سبق ذكره)، المادة (٥١-٣)، والبروتوكول الإضافي الثاني، (مرجع سبق ذكره)، المادة (١٣-٣)

^٩ انظر المادة الثالثة المشتركة لاتفاقيات جنيف ١٩٤٩.

أكدت اتفاقية جنيف أيضاً على حماية النساء من أي اعتداء ومنحتهم حماية خاصة^١، كما يتمتع الأطفال بحماية خاصة تقرر لهم في النزاعات المسلحة، وكان البروتوكول الإضافي إلى اتفاقيات جنيف المعاهدتين الدوليتين الأولين اللتين حاولتا معالجة تلك الأوضاع، حيث نص البروتوكول على حظر تجنيد الأطفال دون سن الخامسة عشرة وإشراكهم في الأعمال العدائية^٢. اعتبر مبدأ التمييز المذكور كأول قاعدة في القانون الدولي الإنساني العرفي أهم قاعدة تضمن حماية المدنيين من الهجمات^٣، رغم أنه لا يتم ذكر الطلاب وكوادر التدريس صراحة، إلا باعتبارهم مدنيين يتمتعون بحماية هذه القاعدة بشكل كامل، وفي القاعدة ١٣٥ يتمتع الأطفال المتضررين بالنزاع المسلح بحماية خاصة^٤، وتشير الممارسة أن الحماية الواجبة للأطفال المتأثرين بالنزاع تشمل الحصول على التعليم^٥. ولضمان حماية أكثر يجب على أطراف النزاع نقل المدنيين والأعيان المدنية بعيداً عن مجاورة الأهداف العسكرية^٦، ويؤكد القانون العرفي أيضاً بحظر الهجوم على الأشخاص العاجزون على القتال^٧، بما يمكن اعتبار الطلاب وكوادر التدريس من هذه المجموعة.

ثالثاً: حماية المرافق التعليمية وفق القانون الدولي الإنساني: يحمي القانون الدولي الإنساني جميع الممتلكات والأعيان بما في ذلك المرافق التعليمية من أية هجمات مباشرة عندما تكون أعيان مدنية وليست أهداف عسكرية، كما يحظر تدمير ممتلكات العدو أو الاستيلاء عليها ما لم تبرّر ذلك الضرورة العسكرية، تتطوي هذه الحماية ضمن مبدأ التمييز بين الأعيان المدنية والأهداف العسكرية حيث لا يجوز الهجوم بشكل مباشر إلا على الأهداف العسكرية فقط^٨. تعالج اتفاقية جنيف الرابعة قضية سلامة المناطق التي يقيم فيها السكان المدنيون وحيادها في النزاعات المسلحة الدولية، حيث تنص على إمكانية إنشاء الأطراف لمناطق مخصصة لحماية فئات معينة من المجموعات الضعيفة منهم الأطفال، وإنشاء مناطق محايدة لحماية المدنيين بموجب اتفاقات تبرم بين أطراف النزاع، ويجب ألا تتعرض هذه المناطق لهجوم عسكري^٩، وقد حدد البروتوكول الإضافي الأول أحكاماً خاصة بأطراف النزاع للاتفاق على إعلان مناطق منزوعة السلاح كي لا تتعرض للعمليات العسكرية^{١٠}. لا توجد أحكام للقانون الدولي الجنائي أو سوابق قضائية تتناول حماية التعليم بحد ذاته، لكن التعليم يذكر فقط في معرض استهداف أو تدمير الممتلكات التعليمية المدرجة كجريمة حرب في نظام روما الأساسي^{١١}.

^١ اتفاقية جنيف الرابعة، المادة (٢٧).

^٢ انظر: البروتوكول الإضافي الأول المادة (٧٧) والبروتوكول الإضافي الثاني المادة (٣-ج).

^٣ جون ماري هنكيتس ولويس دوزوالد بك، القانون الدولي الإنساني العرفي، المجلد الأول القواعد، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، جنيف، ٢٠٠٥، ص ٣، القاعدة ١.

^٤ المرجع السابق، ص ٤١٩، القاعدة (١٣٥).

^٥ المرجع السابق، ص ٤٢٠، القاعدة (١٣٥).

^٦ المرجع السابق، ص ٦٦، القاعدة (٢٤).

^٧ المرجع السابق، ص ١٤٥، القاعدة (٤٧).

^٨ البروتوكول الإضافي الأول المادة (٤٨).

^٩ اتفاقية جنيف الرابعة المادتان (١٤) و(١٥).

^{١٠} البروتوكول الإضافي الأول المادة (٦٠).

^{١١} نظام روما الأساسي ١٩٩٨، المادة (٨) ب-٩.

وفي النزاعات المسلحة غير الدولية، يمكن الاستناد على القاعدة العرفية في حماية مرافق التعليم هو مبدأ التمييز بين الأعيان المدنية والأهداف العسكرية، وعدم توجيه الهجمات إلا إلى الأهداف العسكرية^١، كما يحظر تدمير ممتلكات الخصم والاستيلاء عليها إلا في حالات الضرورة العسكرية القهرية^٢.

أكدت العديد من قرارات مجلس الأمن على أهمية حماية الأطفال في النزاعات المسلحة، كالقرار ١٢٦١ لعام ١٩٩٩ عندما أعرب عن قلقه إزاء ما يتعرض له الأطفال من أثر ضار نتيجة الصراعات المسلحة، وأدان استهداف الأطفال بما في ذلك قتلهم والاعتداء عليهم، وشن الهجمات على الأعيان المحمية، بما فيها الأماكن التي يكون فيها وجود كبير للأطفال مثل المدارس^٣.

واستجابة لما تتعرض له المدارس والمرافق التعليمية من استهداف في النزاعات المسلحة، تم فتح إعلان المدارس الآمنة لتأييد الدول في أوصلو، النرويج، في أيار ٢٠١٥^٤، وهو عبارة عن التزام سياسي لتوفير حماية أفضل للطلاب والمعلمين والمدارس والجامعات أثناء النزاع المسلح، ودعم استمرار التعليم أثناء الحرب، ووضع اتخاذ تدابير ملموسة لردع الاستخدام العسكري للمدارس. حتى تاريخ أيار ٢٠٢٣ صادقت ١١٨ دولة على هذا الإعلان، وتلتزم هذه الدول بإعادة الوصول إلى التعليم الآمن وتطوير أنظمة تعليمية تراعي النزاعات وتعزز الاحترام بين المجموعات الاجتماعية أو العرقية^٥.

رابعاً: آليات رصد انتهاكات حماية حق التعليم وقت النزاعات المسلحة: كما هو الشأن مع أي شكل من أشكال الفعل غير المشروع دولياً، فإن انتهاك دولة ما لالتزام وفق القانون الدولي الإنساني يؤدي إلى التزام بالجبر ويشكل هذا الالتزام جزء من القانون الدولي الإنساني العرفي المطبق في النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية^٦، وتم تأكيد ذلك في البروتوكول الإضافي الأول^٧.

يوفر القانون الدولي الإنساني المواد القانونية الرئيسة لحماية الأشخاص والممتلكات في حالات النزاع المسلح الدولي وغير الدولي، ومع ذلك، فإنه يحتوي على عدد قليل من آليات التعويض المترتب على انتهاكات قواعده، فغالبية الآليات المتصلة بانتهاكات القانون الدولي الإنساني لا تتناول مسألة حقوق الضحايا من الأفراد، من بينهم المتضررين من الانتهاكات المرتبطة بالتعليم، مثل إجراءات التحقيق بموجب معاهدات جنيف^٨ ولجنة تقصي الحقائق الإنسانية الدولية الموضوعة بموجب البروتوكول

^١ جون ماري هنكريتس ولويس دوزوالد بك، القانون الدولي الإنساني العرفي (مرجع سبق ذكره)، ص ٢٣، القاعدة ٧.

^٢ (المرجع السابق)، ص ١٥٦، القاعدة ٥٠.

^٣ قرار مجلس الأمن ((S/RES/1261 (1999) المؤرخ في ٣٠ آب ١٩٩٩، متاح على: <https://www.un.org/securitycouncil/ar/content/resolutions->

<https://www.un.org/securitycouncil/ar/content/resolutions-adopted-security-council-1999>

^٤ Education under attack, UNICEF, retrieved on 31/07/2023 at 10:05, available on: <https://www.unicef.org/education-under-attack>

^٥ لمعرفة المزيد يمكنك زيارة موقع التحالف العالمي لحماية التعليم: <https://protectingeducation.org/>

^٦ جون ماري هنكريتس ولويس دوزوالد بك، القانون الدولي الإنساني العرفي (مرجع سبق ذكره)، ص ٤٦٨، القاعدة (١٥٠).

^٧ البروتوكول الإضافي الأول، المادة (٩١).

^٨ اتفاقية جنيف الرابعة، المادة (١٤٩).

البروتوكول الإضافي الأول^١ والتي تفتقر إلى سلطة اتخاذ القرارات القانونية ولا تقبل الالتماسات المقدمة من الأفراد. هذه الآليات لا تضم أي إجراء قضائي يقدم للضحايا لتقديم منتهكي حقوقهم للمساءلة بموجب القانون الدولي الإنساني. وفي نظام روما الأساسي يعاقب القانون الدولي الجنائي مرتكبي الانتهاكات الجسيمة التي تدخل ضمن اختصاص المحكمة وهي جريمة الإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب وجريمة العدوان^٢، ولم يذكر الحق في التعليم ضمن شرح أي أي

نوع من هذه الجرائم. لكن تم ذكر الاضطهاد كنوع من الجرائم ضد الإنسانية^٣، كما الأفعال اللاإنسانية الأخرى ذات الطابع المماثل الذي يلحق بأذى بالجسم أو الصحة العقلية أو البدنية. ومن هنا يمكن اعتبار تعذيب الطلاب أو المعلمين أو الحرمان التعسفي من حق التعليم في بعض الحالات من أنواع الاضطهاد.

المبحث الثاني: تأثير النزاع المسلح على حق التعليم في سورية

يعاني نظام التعليم في سوريا من الإجهاد الكبير ونقص التمويل وعدم القدرة على تقديم خدمات آمنة وعادلة ومستدامة خصوصاً ما بعد عام ٢٠١١ وما شهدته البلاد من حرب وجائحة كوفيد-١٩ وحتى الزلازل التي طالت البنى التحتية ما أدى الى تدمير العديد من المدارس وتشريد عدد كبير من الأطفال ويهدد مستقبلهم ومستقبل سوريا على مختلف الأصعدة، وكاستجابة لهذه الأزمة حاولت الجمهورية العربية السورية ضمان استمرار العملية التعليمية في ظل الظروف الصعبة التي أرهقت البلاد. وخدمة لمعالجة إشكالية البحث سنتناول الفترة التي طالت بين أعوام ٢٠١١-٢٠٢١ دون التطرق للخسائر والإحصاءات والأعمال التي أجريت بعد زلزال عام ٢٠٢٣.

المطلب الأول: واقع حق التعليم في سورية خلال الأزمة

أثر النزاع السوري على قدرة الدولة على حماية حق التعلم وضمانه، ما خلق أزمة من نوع آخر تمثلت في تدني أعداد الطلاب وخروج العديد من المدارس من الخدمة نتيجة الهجمات العشوائية الإرهابية، وسيطرة المجموعات الإرهابية المسلحة على أماكن عديدة وتغيير المناهج بمناهج خاصة بهم تروج للإرهاب وغسيل الدماغ، بالإضافة للجوء عدد كبير من العائلات إلى خارج البلاد أو النزوح الداخلي الذي حرم الأطفال من متابعة تعليمهم.

أولاً: أعداد الطلاب والمدارس المتضررة خلال الأزمة في سورية:

انخفض عدد المدارس في عام ٢٠١٦ في سورية بنسبة ٢٩% وانخفض عدد الطلاب بنسبة ٢٣% عما كان عليه عام ٢٠١٠^٤، حتى بلغ عدد الأطفال خارج المدرسة حتى عام ٢٠٢٠ في سوريا حوالي ٢،٨ مليون طفل^١، فمنذ بداية الحرب في

^١ البروتوكول الإضافي الأول، المادة (٩٠).

^٢ نظام روما الأساسي، المادة (٥).

^٣ المرجع السابق، المادة (٧) الفقرة ج.

^٤ التعليم في سورية بين نمطية التحليل وأفق الأهداف، (تحليل وتركيب التعليم)، مركز دمشق للأبحاث والدراسات (مداد)، دمشق، ٢٠١٨، ص ١٣، متاح على:

<https://shorturl.at/jkzBP>

سوريا تعرضت واحدة من كل أربع مدارس للتدمير أو استخدامها كملاجئ مؤقتة^٢، وأكدت الأمم المتحدة وقوع حوالي ٧٠٠ هجوم على منشآت وطواقم التعليم في سورية^٣. وارتفاع تكاليف المستلزمات المدرسية أصبحت تفوق قدرة المواطنين الشرائية في ظل الظروف الاقتصادية السيئة. إن تأثير النزاعات المسلحة على جودة التعليم لا تتمثل بالهجمات ضد حياة الطلبة والمدرسين فقط، بل تشكل انتهاكاً للحق في التعليم^٤، وهذا ما أكدته المكتب المركزي للإحصاء حيث سجل عدد تلاميذ المرحلة الأساسية في عام ٢٠٠٩ ما قبل الحرب حوالي ٤,٥٦٤,٠٨٩، لكن تراجع هذا العدد في عام ٢٠١٣ في ظل الحرب ليصل لأدناه عام ٢٠١٣، حيث سجل حوالي ٢,٩٦٦,٨٤٦ تلميذ^٥، أي حوالي النصف.

ثانياً: أزمة تعليم اللاجئين والنازحين السوريين:

خلقت الأزمة في سورية أزمة تعليم الأطفال اللاجئين، حيث يتعرض جيل من الأطفال السوريين إلى خطر الحرمان من التعليم النظامي وعدم قدرة الأنظمة التعليمية في البلدان المستضيفة على استيعابهم. قدرت المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين أن أقل من ٤٠% من أطفال اللاجئين السوريين يتابعون التعليم النظامي^٦، كما أن غياب البيئة التعليمية يجعل الشباب أكثر عرضة للانضمام إلى جماعات متطرفة، والهرب إلى بلدان مجاورة ما يخلق أزمات أخرى، بالإضافة إلى الآثار النفسية المترتبة على الطلبة اللاجئين السوريين^٧. عدا الأعداد الكبيرة من النازحين الداخليين وما يعاني مخيماتهم من اكتظاظ، بما في ذلك المساجد والمدارس المليئة بالعائلات النازحة، وبالتالي تصبح العملية التعليمية من الأمور الشبه مستحيلة، حيث بلغ عدد النازحين في سورية عام ٢٠١٤، ٧ مليون و ٦٠٠ ألف، وانخفض في عام ٢٠٢٠ إلى ٦ مليون و ٤٩٥ ألف نازح^٨، ما يصعب توفير نظام تعليمي مناسب لهم.

المطلب الثاني: استجابة الجمهورية العربية السورية لحماية حق التعليم

^١ سوريا: حوالي ٥ ملايين طفل لا يعرفون سوى الحرب، أخبار الأمم المتحدة، تاريخ النشر ٢٠٢٠/٣/١٤، استرجعت في ٢٠٢٣/٠٨/٠٣ - سا ١٠:٠٠ متاح على: <https://news.un.org/ar/story/2020/03/1051311>

^٢ Kristine Kolstad, accessing education in the midst of the Syrian crises, Norwegian Refugee Council, 2018, retrieved on 03/08/2023 at 09:30 from: <https://shorturl.at/kmFK6>

^٣ عشر سنوات من الحرب في سورية، وأكثر من نصف الأطفال لا يزالون محرومين من التعليم، يونسيف، ٢٠٢١، استرجعت في ٢٠٢٣/٠٨/٠١ سا ١١:٠٠، متاح على: <https://shorturl.at/tvY05>

^٤ نعم سعدون رحيمة، تأثير النزاعات المسلحة على جودة التعليم في العراق، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العراق، ٢٠١٤، ص ٢٢٠-٢٦١.

^٥ المكتب المركزي للإحصاء، الجمهورية العربية السورية، الكتاب الإحصائي للأعوام ٢٠١٢-٢٠٢٢، استرجعت في ٢٠٢٣/٠٨/٠٣ سا ١٠:٢٠، متاح على: <http://cbssyr.sy/>

^٦ شيلي كالبرتسون ولوي كونستانت، تعليم أطفال اللاجئين السوريين، مؤسسة رند، كاليفورنيا، ٢٠١٥، ص ٢. متاح على: <https://shorturl.at/begXY>

^٧ للتوسع انظر: غدير أبو الغنم ومحمد نعيمات وآخرون، الآثار النفسية المترتبة على الطلبة اللاجئين السوريين، مجلة المنارة، المجلد ٢٢، العدد ٢، عمان، ٢٠١٦، ص ٢٧١-٣٠٤.

^٨ عبد الحفيظ العبدلي وبولين تورويان، عقد من النزاع في سورية، حصيلة إنسانية مروعة، سويس إنفو تشانل أرابيك، ٢٠٢١، استرجعت في ٢٠٢٣/٠٧/٣٠ سا ١١:٣٠، متاح على: <https://shorturl.at/FLO14>

أكدت الجمهورية العربية السورية على حماية حق التعليم في دستورها، ونتيجة لذلك تزايد عدد افتتاح المدارس وتطوير المناهج التعليمية باستمرار ودون توقف رغم العراقيل التي لحقت بها من نقص موارد واستمرار الهجمات الإرهابية على مرافق التعليم

ومحاولة تجنيد الأطفال في النزاعات المسلحة، اتخذت الحكومة السورية العديد من الخطوات لحماية هذا الحق سواءً بإمكاناتها المحدودة أو عبر التعاون مع المنظمات الدولية أو المؤسسات الغير حكومية ومع دول عديدة للنهوض بمستوى هذا الحق وضمانه على أوسع نطاق.

أولاً: حماية حق التعليم في الجمهورية العربية السورية:

تم اعتماد قانون التعليم الإلزامي في سورية رقم (٣٢) لعام ٢٠٠٢ منذ الصف الأول وحتى المرحلة الإعدادية "مرحلة التعليم الأساسي"^١، كما يحمي الدستور السوري لعام ٢٠١٢ الحق في التعليم فنص في المادة ٢٩ في الفقرتين ١ و ٢ على أن التعليم حق تكفله الدولة وهو مجاني في جميع مراحله^٢. وجاء القانون رقم ٧ لعام ٢٠١٢ ليلزم أولياء الأطفال الحاق أطفالهم بمدارس التعليم الأساسي تحت طائلة المسائلة القانونية^٣.

كانت سورية قد وقعت على اتفاقية حقوق الطفل الدولية منذ ١٩٩٣^٤، وتعتبر هذه الاتفاقية شاملة لحقوق الطفل ومحددة لكل الإجراءات والوسائل لتحقيقها، وهي بمثابة دستور على الدول الموقعة تغيير قوانينها للتوافق مع اتفاقية حقوق الطفل. وعليه واستمراراً لاهتمام الحكومة السورية بحماية الطفل وحقوقه أصدر السيد الرئيس قانون حقوق الطفل رقم (٢١) عام ٢٠٢١^٥، والذي يهدف إلى تعزيز دور الدولة بمختلف مؤسساتها العامة والخاصة في حماية الطفل ورعايته وأكد أن لكل طفل الحق في التعليم المجاني، وله الحق في التربية والتنشئة والتأهيل العلمي والثقافي والنفسي والاجتماعي، بما يمكنه من الإسهام في مجالات التنمية كافة^٦. ويكفل القانون حمايته من أشكال العنف كافة، وخاصة الإساءة البدنية، المعنوية، أو الجنسية أو غير ذلك، وله الحق في الحماية من الاستغلال، والإهمال، والتشرد^٧، ولم يغفل هذا القانون ضمان الحقوق التعليمية والثقافية للطفل

^١ القانون رقم ٣٢ بشأن مرحلة التعليم الأساسي، الجمهورية العربية السورية، ٢٠٠٢، متاح على: <https://shorturl.at/ehwyN>

^٢ انظر: دستور الجمهورية العربية السورية، الصادر بالمرسوم التشريعي ٨٥ بتاريخ ٢٠١٢/٢/١٥. متاح على: <https://shorturl.at/mvwEI>

^٣ انظر: القانون ٧ لعام ٢٠١٢ إلزام أولياء الأطفال السوريين إلحاق أطفالهم بمدارس التعليم الأساسي، مجلس الشعب السوري، ٢٠١٢، متاح على:

<https://shorturl.at/bdmvJ>

^٤ UN Treaty Collection, Status of Treaties, Chapter IV, HUMAN RIGHTS, Convention on the Rights of Child, 1989, available on: <https://shorturl.at/imoEI>

^٥ قانون حقوق الطفل، الجمهورية العربية السورية، القانون رقم ٢١ المؤرخ في ١٥ آب ٢٠٢١، متاح على موقع مجلس الشعب السوري: <https://shorturl.at/avDFK>

<https://shorturl.at/avDFK>

^٦ المرجع السابق، المادة (١٠).

^٧ المرجع السابق، المادة (١٤).

حيث توسع في ثلاث مواد هادفة لصقل شخصية الطفل وحقه في التعليم وتلبية احتياجاته الثقافية ورفع السوية العلمية باستمرار، وحتى تطرق إلى أهمية ضمان توفير الكتب والوسائل التي ترفع من وعي الطفل^١. ولضمان حماية الأطفال في النزاعات

المسلحة حظر القانون تجنيد الأطفال أو إشراكهم في النزاعات المسلحة وحمايته من الإتجار^٢، واعتبر هذا القانون انجازاً مهماً لضمان حقوق الطفل وحمايته.

ثانياً: إعادة تأهيل المرافق التعليمية وتدريب المعلمين وتعديل المناهج:

نتيجة الهجمات العشوائية للجماعات الإرهابية على المنشآت التعليمية المختلفة في سورية أقرّ مجلس الوزراء خطة وزارة التربية لإعادة تأهيل المدارس المتضررة في جميع المحافظات، حيث تم رصد ٥٠ مليار ليرة سورية لهذا الغرض^٣، وتم وضع برنامج زمني محدد لتنفيذ الخطة وإعادة المدارس للعمل وفق الأولويات وحاجة كل محافظة، حيث عدّت إعادة تأهيل المدارس المتضررة من أولويات أعمالها.

وبعد تحرير أغلب المناطق من الإرهاب ازداد أعداد الطلاب وتم تعديل الخطة الاستيعابية، تم ترميم ما يقارب ١٤٥٨ مدرسة في مختلف المحافظات حتى ٢٠١٩^٤. حتى وصل عدد المدارس الداخلة في الخدمة للعام الدراسي ٢٠١٨-٢٠١٩ إلى ١٢٧٢١/ مدرسة، بعد أن بلغ العدد الكلي للمدارس خلال ٢٠١١-٢٠١٢ / ٢٢٦٥٠/ مدرسة^٥. ففي الرقة تم افتتاح ٣ مجمعات تربوية في عام ٢٠١٨ وترميم ٥٦ مدرسة فيها^٦.

تشجع وزارة التربية إعادة الطلاب الى المدارس وتعويضهم عما فات عليهم، ففي عام ٢٠٢٠ وبحسب احصائيات المكتب المركزي للإحصاء سجل عدد تلاميذ المرحلة الأساسية في ارتفاع حيث بلغ ٣،٠٦٣،٨٩٨ طالباً، أي بما يقارب زيادة ب ٩٧ ألف طالب مقارنةً بعام ٢٠١٣^٧.

^١ المرجع السابق، المواد (٢٧) (٢٨) (٢٩).

^٢ المرجع السابق، المواد (٤٦) (٤٧).

^٣ خطة وزارة التربية لإعادة تأهيل المدارس المتضررة، رئاسة مجلس الوزراء السورية، ٢٠١٩، استرجعت في ٢٠٢٣/٠٨/٠٤ - سا ١١:٣٠، متاح على: <https://bit.ly/3vwxkld>

^٤ "الوزارة تتابع ترميم المدارس مع بدء العام الدراسي الجديد"، وزارة التربية السورية، ٢٠١٩، استرجعت في ٢٠٢٣/٠٨/٠٦ - سا ١١:٠٠، متاح على الموقع: <http://moed.gov.sy/site/en/node/2670>

^٥ خطة وزارة التربية لإعادة تأهيل المدارس المتضررة، (مرجع سبق ذكره).

^٦ "جميع الناجحين في الإعدادية في الرقة الى التعليم العام... ٢١٣١٨ طالب انضموا الى المدارس في المناطق المحررة"، صحيفة الوطن الالكترونية، دمشق، ٢٠١٨، استرجعت في ٢٠٢٣/٠٨/٠١ - سا ١٦:٠٠، متاح على: <https://alwatan.sy/archives/166900>

^٧ انظر سابقاً: المبحث الثاني، المطلب الأول، أولاً: أعداد الطلاب والمدارس خلال الأزمة السورية، ص ١٦.

وفي إدلب عام ٢٠٢١ تم استقبال ٦ آلاف طالب في ٨١ مدرسة من المناطق المحررة^١. وفي حلب من نفس العام قامت المحافظة بالتعاون مع المعنيين في مديرية التربية ودائرة الأبنية المدرسية بإعادة ترميم ٧٠ مدرسة في ريف المحافظة و ٤٠ في المدينة وذلك ضمن خطة صيانة وترميم المدارس التي دمرتها المجموعات الإرهابية المسلحة^٢، كما قامت وزارة التربية

بالاستمرار بعملية رصد الواقع التربوي في المحافظات وتأمين المستلزمات التعليمية، ففي حلب قام وفد وزاري في عام ٢٠٢١ بجولات ميدانية في مدارس الريف والمدينة بهدف سد الشواغر في المدارس وتطوير المناهج^٣. وعليه اتخذت وزارة التربية مجموعة من القوانين للحد من ظاهرة التسرب حيث أشار التقرير الدوري للجمهورية العربية السورية حول اتفاقية حقوق الطفل بأن نسبة التسرب انخفضت الى أقل من ١.٩ من قبل الأزمة^٤، كما عملت على إعداد برامج إرشادية وتفعيل دور المرشد النفسي والاجتماعي، مما ساهم في تقديم الدعم النفسي والاجتماعي المطلوب للطلاب لمنع التسرب.

ثالثاً: التعاون مع المنظمات والحكومات المختلفة في تطوير التعليم:

للمنظمات الدولية دور كبير في دعم استمرار العملية التعليمية في سورية، خصوصاً في نقص الموارد والكوادر المؤهلة، وقد استطاعت اليونيسف وشركاؤها بتخفيض عدد الأطفال الذين لا يذهبون إلى المدرسة من ٢.١ مليون طفل في السنة الدراسية ٢٠١٤/٢٠١٥ إلى ١.٧ طفل في سنة ٢٠١٥-٢٠١٦^٥، كما قامت وزارة التربية بالتعاون مع المفوضية السامية لشؤون اللاجئين حتى عام ٢٠١٧ بتوزيع أكثر من ٣٥ ألف كتاب مجاني لطلاب الشهادة الثانوية في مختلف المحافظات و ١٠٠ ألف حقيبة مدرسية^٦. وفي إطار التشاركية بين وزارة التربية السورية ومنظمة اليونيسف تم إعداد ورشة عمل عام ٢٠٢١ لدعم عملية تطوير الموارد التعليمية بهدف تطوير المناهج التربوية^٧، واستمرت هذه الورش في وقت لاحق، ففي عام ٢٠٢١ نفذت وزارة التربية والإدارة المحلية والبيئة ومحافظة ريف دمشق ومنظمة UN HABITAT ورش عمل تحضيرية لإطلاق مشروع

^١ "استعداد لفتح المدارس في مناطق خارج السيطرة" صحيفة الوطن الالكترونية، دمشق، ٢٠٢١، استرجعت في ٢٠٢٣/٠٨/٠١ - سا ١٥:٠٠، متاح على:

<https://alwatan.sy/archives/270611>

^٢ "محافظة حلب، ترميم ٧٠ مدرسة في ريف المحافظة و ٤٠ في المدينة"، الوكالة العربية السورية للأنباء، ٢٠٢١، استرجعت في ٢٠٢٣/٠٨/١٢ - سا ١٢:٠٠، متاح

على: <https://sana.sy/?p=1296919>

^٣ "تفقد واقع العملية التعليمية في مجعدي دير حافر ومسكنة"، وزارة التربية السورية، ٢٠٢١، استرجعت في ٢٠٢٣/٠٨/٠٨ - سا ١٢:١٠، متاح على:

<https://shorturl.at/agqHP>

^٤ تقرير الجمهورية العربية السورية الدوري الخامس لاتفاقية حقوق الطفل المقدم بموجب المادة ٤٤ من الاتفاقية، ٢٠١٧، ص ٤٥، متاح على:

<https://shorturl.at/vAMVZ>

^٥ "أطفال سورية يخطرون بأرواحهم كي يعودوا الى المدارس"، يونيسيف، ٢٠١٦، استرجعت في ٢٠٢٣/٠٨/٠٤ - سا ١٠:٥٥، متاح على: <https://uni.cf/3ayhzCf>

<https://uni.cf/3ayhzCf>

^٦ تقرير الجمهورية العربية السورية الدوري الخامس لاتفاقية حقوق الطفل (مرجع سبق ذكره)، ص ٤٦.

^٧ "انطلاق فعاليات ورشة عمل تشاركية لتطوير الموارد التعليمية"، وزارة التربية السورية، ٢٠٢١، استرجعت في ٢٠٢٣/٠٨/٠٨ - سا ١٣:٣٠، متاح على:

<https://bit.ly/2PCafhY>

تأهيل محيط المدارس وتأمين الوصول الآمن للطلاب^١. وفي عام ٢٠٢١ أعلنت مديرية تربية درعا افتتاح ٢٣ مركز لمنهاج الفئة "ب"^٢ بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للطفولة "اليونيسيف" لتنفيذ دروس تعويضية للمتسربين وبلغ عدد الطلاب المنتسبين ٤١١ طالب^٣.

وضمن هذا الإطار، سعت الجامعات السورية بشكل عام وجامعة دمشق بشكل خاص للتعاون مع المؤسسات السورية غير الحكومية وكان على رأسها الأمانة السورية للتنمية، حيث قاموا بإدراج برنامج "تعرف على عالم الأعمال" ضمن المناهج التعليمية، لردم الهوة بين التعليم الأكاديمي وسوق العمل^٤، كما تدعم الأمانة عملية التعلم داخل المدارس عبر جلسات موجهة للدعم النفسي للطلاب، وتقدم مساعدة ممنهجة للطلاب اللذين لم يلتحقوا بالمدارس أو اضطروا لتركها بالإضافة الى دمج الأطفال ذوي الإعاقات، كما تقوم بتوفير برامج خاصة لتدريب المدرسين بالتوازي مع ترميم المدارس^٥. بالإضافة إلى ذلك تعاونت الحكومة السورية باستمرار مع حكومات الدول المختلفة في إطار تطوير مناهج التعليم، نذكر منها حين وقعت وزارتي التربية السورية والروسية اتفاق تعاون في مجال التعليم الثانوي العام والمهني والتكميلي في ٢٠٢٠^٦، ما يفتح أفاق جديدة أمام الطلاب السوريين وتشجعهم على متابعة التعلم، وبموجب الاتفاق ويقوم الجانبان بتسهيل تبادل الخبرات في مجال التعليم العام والمهني. كما تم توقيع اتفاقية تعاون بين سورية وبيلاروسيا في مجال التعليم العالي والدراسات العليا وتبادل الطلاب^٧، بالإضافة إلى توقيع مذكرة تفاهم عام ٢٠٢٠ بين وزارتي التربية السورية والإيرانية تتضمن تبادل الخبرات في المجالات العلمية والتربوية وتقديم الخدمات الفنية وترميم المدارس^٨، بما يسهم في تطوير العملية التعليمية في البلدين.

^١ بالتعاون مع الأمم المتحدة إطلاق مشروع تأهيل الفراغات المحيطة بالمدارس..، وزارة التربية السورية، ٢٠٢١، استرجعت في ١٢/٠٨/٢٠٢٣ - سا ١١:٣٠، متاح على: <https://shorturl.at/gjxOY>

^٢ يستوعب منهاج الفئة "ب" الطلاب الذين تركوا الدراسة في مراحلها الأولى وأصبحوا بسن أكبر من أقرانهم لإعادتهم الى مقاعد الدراسة، ويتم تعويضهم بمناهج مطوّر يختصر كل عامين دراسيين بعام واحد. لمزيد من المعلومات انظر: تقرير الجمهورية العربية السورية الدوري الخامس لاتفاقية حقوق الطفل (مرجع سبق ذكره)، ص ٤٣، متاح على: <https://shorturl.at/vAMVZ>

^٣ مراكز لمنهاج الفئة "ب" في درعا، الوكالة السورية للأبناء، ٢٠٢١، استرجعت في ٠٦/٠٨/٢٠٢٣ - سا ١٠:٣٠، متاح على: <https://sana.sy/?p=1429604>

^٤ وائل معلّا، قضايا معاصرة في التعليم العالي، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٤، ص ٥٣.

^٥ لمزيد من المعلومات انظر: موقع الأمانة السورية للتنمية، <https://www.syriatrust.sy/ar/area/3>

^٦ وزارت التربية السورية والروسية توقيع اتفاق للتعاون في التعليم الثانوي العام والمهني، رئاسة مجلس الوزراء السورية، ٢٠٢٠، استرجعت في ١٠/٠٨/٢٠٢٣ - سا ١٠:٥٠، متاح على: <https://shorturl.at/qvLSZ>

^٧ اتفاقية تعاون بين سورية وبيلاروسيا في مجال التعليم العالي والدراسات العليا، وزارة التعليم العالي السورية، ٢٠١٩، استرجعت في ١٠/٠٨/٢٠٢٣ - سا ١٥:٠٠، متاح على: <https://shorturl.at/coC19>

^٨ مذكرة تفاهم بين سورية وإيران في تطوير العملية التعليمية في سورية، الوكالة العربية السورية للأبناء، تاريخ النشر ٢٣/٠١/٢٠٢٠، استرجعت في ٢٥/٠٧/٢٠٢٣ - سا ١١:٠٠، متاح على: <http://www.sana.sy/?p=1093350>

نتائج البحث

- التعليم حق أساسي من حقوق الإنسان ومكرس في كافة دساتير العالم، يزود الأطفال بالمعرفة والمهارات اللازمة لبناء مستقبلهم ويوفر لهم الصوت الذي يمكن من خلاله المطالبة بالحقوق الأخرى، وفي مناطق النزاعات التي تتراجع فيه حماية التعليم يكون الأطفال غير ملتحقين بالمدارس هدفاً سهلاً للإساءات والاستغلال والتجنيد في القوات والجماعات المسلحة.
- يوفر القانون الدولي لحقوق الإنسان الحماية للتعليم في وقت السلم، ويجب على الدول الأطراف في هذه المعاهدات احترامه واتخاذ الخطوات اللازمة لتحقيق الأعمال الكاملة لهذا الحق ويجب أن يكون متاحاً للجميع دون تمييز. وتعرض معظم اتفاقيات حقوق الإنسان آليات لمراقبة تطبيقها، لكنها تقتصر إلى أي نظام للعقاب الدولي في حالة انتهاكات الاتفاقيات.
- يحمي القانون الدولي الإنساني الطلاب والمعلمين من الهجمات وفق مبدأ التمييز بين المدنيين والمقاتلين ويحمي مرافق التعليم من الهجمات باعتبارها أعيان مدنية، أما بخصوص الحق في التعليم يتضمن القانون الدولي الإنساني أحكاماً تتصل فقط بمن يحرمون من التعليم نتيجة ظروف النزاع المسلح وليس لأي أسباب أخرى، مع عدم وجود قواعد كافية تحمي هذا الحق في ظل النزاعات المسلحة الغير دولية. وقد يفقد الحق في التعليم الحماية الكافية في البلدان التي تشهد نزاعات مسلحة نظراً للانشغال بحماية الحقوق الأساسية كالحق في الحياة والغذاء.
- مع مرور ١٠ سنوات على الحرب على سورية ومع انشغال السوريين بتأمين حاجاتهم الأساسية في ظل النزاع أدى ذلك إلى خفوت الصوت المتحدث عن حال التعليم في البلاد. رغم ذلك عملت سورية بإمكاناتها المحدودة لكن بخطوات عديدة حماية هذا الحق ومواجهة التخريب الذي تعرض له القطاع التربوي في مكوناته المادية والمعنوية، فركزت جهودها وبالتعاون مع المنظمات الدولية والدول الصديقة على تأهيل المدارس في كافة المحافظات وإعادتها إلى الخدمة، مع الاستمرار في العمل على تطوير المناهج التعليمية وتوفير الكوادر التدريسية اللازمة وتدريبهم، لكن لا يزال هناك العديد من الخطوات التي يجب اتباعها لضمان حماية هذا الحق واستمراره بجودة أفضل.

التوصيات

- اتخاذ خطوات لازمة لانضمام سورية "إعلان المدارس الآمنة" وبالتالي المصادقة والالتزام بإدراج السياسات المحلية للمبادئ التوجيهية بشأن حماية المدارس والجامعات واتخاذ تدابير ملموسة لردع الاستخدام العسكري للمدارس.
- إعداد دراسة دقيقة على المستوى الوطني لتحديد الاحتياجات المستقبلية لحماية حق التعليم، وإعطاء الأولوية للتمويل لدعم التعليم في سورية. وإيجاد قواعد قانونية داخلية على المستوى الوطني تستهدف حماية حق التعليم والوصول الآمن للأطفال للمدارس، وذلك لضمان الاستجابة الفعالة للمخاطر الناجمة عن فقدان هذا الحق وآثاره.

المراجع

الكتب والمؤلفات

باللغة العربية

١. إيسك ١٩٩٧، التصنيف الدولي المقنن للتعليم، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦. متاح على: https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000146967_ara
٢. جون ماري هنكريتس ولويس دوزوالد بك، القانون الدولي الإنساني العرفي، المجلد الأول القواعد، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، جنيف، ٢٠٠٥.
٣. شيلي كالبرتسون ولوي كونستانت، تعليم أطفال اللاجئين السوريين، مؤسسة رند، كاليفورنيا، ٢٠١٥، متاح على: <https://shorturl.at/begXY>
٤. كريستين هوسلر، نيكول إيربان وآخرون، حماية التعليم في ظروف انعدام الأمن والنزاعات المسلحة، دليل قانوني دولي، مركز الأمم المتحدة للتدريب والتوثيق في مجال حقوق الإنسان لجنوب غرب آسيا والمنطقة العربية، قطر، ٢٠١٠.
٥. وائل معلا، قضايا معاصرة في التعليم العالي، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٤.

باللغة الانكليزية

6. Katarina Tomasevski, Education Denied, costs and remedies, Zed Books, London, 2003.

الأبحاث والدراسات

باللغة العربية

٧. التعليم في سورية بين نمطية التحليل وأفق الأهداف، (تحليل وتركيب التعليم)، مركز دمشق للأبحاث والدراسات (مداد)، دمشق، ٢٠١٨، متاح على: <https://shorturl.at/jkzBP>
٨. غدير أبو الغنم ومحمد نعيمات وآخرون، الآثار النفسية المترتبة على الطلبة اللاجئين السوريين، مجلة المنارة، المجلد ٢٢، العدد ٢، عمان، ٢٠١٦.
٩. نغم سعدون رحيمة، تأثير النزاعات المسلحة على جودة التعليم في العراق، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العراق، ٢٠١٤.

باللغة الانكليزية

10. Tavassoli Manuchehr, Education right of children during war and armed conflicts, ScienceDirect, Elsevier Ltd., Iran, 2011.

الاتفاقيات والمواثيق الدولية والوطنية والقرارات

١١. اتفاقية جنيف الرابعة بشأن حماية الأشخاص المدنيين في وقت الحرب ١٩٤٩، متاح على: <https://shorturl.at/msBR7>
١٢. اتفاقية حقوق الطفل، ١٩٨٩، متاح على: <https://shorturl.at/kJ026>
١٣. اتفاقية مكافحة التمييز في مجال التعليم، ١٩٦٠، المادة ٤، متاح على: <https://shorturl.at/IJOP7>
١٤. الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ١٩٤٨، متاح على: <https://www.un.org/ar/universal-declaration-human-rights/>
١٥. البروتوكول الأول الإضافي الى اتفاقيات جنيف ١٩٧٧، متاح على: <https://shorturl.at/enBG7>
١٦. البروتوكول الثاني الإضافي لاتفاقيات جنيف ١٩٧٧، متاح على: <https://shorturl.at/yIJMU>
١٧. البروتوكول الاختياري لاتفاقية حقوق الطفل بشأن اشتراك الأطفال في المنازعات المسلحة ٢٠٠٠، متاح على: <https://shorturl.at/mEKN0>
١٨. تقرير الجمهورية العربية السورية الدوري الخامس لاتفاقية حقوق الطفل المقدم بموجب المادة ٤٤ من الاتفاقية، ٢٠١٧: <https://shorturl.at/vAMVZ>
١٩. دستور الجمهورية العربية السورية، الصادر بالمرسوم التشريعي ٨٥ بتاريخ ٢٠١٢/٢/١٥. متاح على: <https://shorturl.at/mvwEI>
٢٠. العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية ١٩٦٦، متاح على: <https://shorturl.at/eKLTY>
٢١. العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ١٩٦٦، متاح على: <https://shorturl.at/ehwGW>
٢٢. قانون حقوق الطفل، الجمهورية العربية السورية، القانون رقم ٢١ المؤرخ في ١٥ آب ٢٠٢١، متاح على: <https://shorturl.at/avDFK>
٢٣. القانون رقم ٧ لعام ٢٠١٢ إلزام أولياء الأطفال السوريين إلحاق أطفالهم بمدارس التعليم الأساسي، مجلس الشعب السوري، متاح على: <https://shorturl.at/bdmvJ>
٢٤. القانون رقم ٣٢ بشأن مرحلة التعليم الأساسي، الجمهورية العربية السورية، ٢٠٠٢، متاح على: <https://shorturl.at/ehwyN>
٢٥. قرار مجلس الأمن ((S/RES/1261 (1999) المؤرخ في ٣٠ آب ١٩٩٩، متاح على: <https://shorturl.at/mGL26>
٢٦. نظام روما الأساسي ١٩٩٨، متاح على: <https://shorturl.at/aosu6>

المواقع الإلكترونية

٢٧. أخبار الأمم المتحدة: <https://news.un.org>
٢٨. الأمانة السورية للتنمية: <https://www.syriatrust.sy>
٢٩. التحالف العالمي لحماية التعليم من الهجوم: <https://protectingeducation.org/>
٣٠. رئاسة مجلس الوزراء للجمهورية العربية السورية: <https://bit.ly/3vwxkld>
٣١. سويس إنفو تشانل أرابيك: <https://shorturl.at/FLO14>
٣٢. صحيفة الوطن الإلكترونية: <https://alwatan.sy>
٣٣. المجلس النرويجي للاجئين: <https://www.nrc.no>
٣٤. مجموعة معاهدات الأمم المتحدة: <https://shorturl.at/imoEI>
٣٥. مركز دمشق للأبحاث والدراسات (مداد): <https://shorturl.at/jkzBP>
٣٦. المفوضية السامية للأمم المتحدة: <https://www.ohchr.org>
٣٧. المكتب المركزي للإحصاء السوري: <http://cbssyr.sy/>
٣٨. وزارة التربية السورية: <http://moed.gov.sy>
٣٩. وزارة التعليم العالي السوري: <http://mohe.gov.sy>
٤٠. الوكالة العربية السورية للأنباء (سانا): <https://sana.sy>
٤١. اليونسكو: <https://www.unesco.org>
٤٢. اليونيسيف: <https://www.unicef.org>

دور القانون الدولي الإنساني في حماية حقوق الأسرى والمحتجزين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية بعد حزيران 1967

عناية عربي كاتبي

ملخص

يسلط هذا البحث الضوء على واقع الأسرى والمحتجزين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية منذ عام 1967، وكيفية تطبيق القانون الدولي الإنساني وخاصة معاهدات جنيف الثالثة والرابعة، وذلك بسبب تعقيد الوضع القانوني الفلسطيني، والاختلاف على تسمية الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة كأراضٍ محتلة، أم متنازع عليها، وبالتالي تختلف التطبيقات القانونية لمعاهدات جنيف تبعاً لذلك.

فالمجتمع الدولي يعترف بأن الضفة الغربية وقطاع غزة (وهي المناطق التي استولت عليها القوات الإسرائيلية عام 1967) هي أرض محتلة، بينما ترفض إسرائيل الاعتراف باحتلال هذه المناطق وتدعي أنها أرض دون سيادة، ومتنازع عليها، نظراً لأن الضفة الغربية كانت تحت وصاية المملكة الأردنية الهاشمية وتتبع لها إدارياً وأن قطاع غزة كان تحت الوصاية المصرية وذلك بعد عام 1948. ولذلك فإن السلطات الإسرائيلية ترى بأنها تقوم بواجبها الأخلاقي نحو المبادئ الإنسانية الواردة في اتفاقيات جنيف الثالثة والرابعة من ناحية عرفية، وليس كالتزام قانوني.

بالإضافة لذلك، فإن التضارب الكبير بين القوانين الداخلية الإسرائيلية - وتعديلاتها - وبين القانون الدولي الإنساني، يشكل هوة عميقة وثغرة كبيرة قد تؤدي إلى ارتكاب انتهاكات جسيمة في حق الأسرى والمحتجزين الفلسطينيين ضمن السجون الإسرائيلية تحت غطاء قانوني مشروع.

الكلمات المفتاحية: حقوق الأسرى، السجون الإسرائيلية، انتهاكات قانونية، اتفاقيات جنيف، قانون دولي إنساني

The role of international humanitarian law in protecting the rights of Palestinian prisoners and detainees in Israeli prisons as of June 1967

Summary

This research sheds light on the situation of Palestinian prisoners and detainees in Israeli prisons since 1967. It discusses the implementation of international humanitarian law, particularly the Third and Fourth Geneva Conventions, in light of the complexity of the Palestinian legal situation and the disagreement over naming the Palestinian lands in the West Bank and Gaza Strip as occupied or disputed lands. Consequently, the legal implementation of the Geneva Conventions varies accordingly.

The international community admits that the West Bank and Gaza Strip (which were the areas taken over by the Israeli forces in 1967) are occupied lands, while Israel refuses to confess the occupation of these areas and claims that they are disputed lands, and without sovereignty, given that the West Bank was under the tutelage of the Hashemite Kingdom of Jordan and was affiliated to it administratively, and that the Gaza Strip was under Egyptian tutelage after 1948. Therefore, the Israeli authorities claim that they are carrying out their moral duty towards the humanitarian principles contained in the Third and Fourth Geneva Conventions from a customary point of view, not as a legal obligation.

In addition, the great inconsistency between Israeli internal laws - and their amendments - and international humanitarian law has caused a huge gap that may lead to committing severe violations against prisoners and detainees in Israeli prisons under a legitimate legal cover.

Key Words: Prisoners and Detainees' Rights, Israeli Prisons, Legal Violations, Geneva Conventions, International Humanitarian Law.

المقدمة:

نتيجة الآثار المدمرة للحروب على مر التاريخ، وبسبب التطور الكبير الذي طرأ على آلات الحرب، وتبعات هذا التطور على زيادة المعاناة التي تسببها الحروب على الأشخاص، فقد أصبح هناك قوانين خاصة لمحاولة الحد من هذه المعاناة و"أنسنة" الحرب نوعاً ما، مثل القانون الدولي الإنساني، والذي من أهم أهدافه حماية وصون حقوق الإنسان ومحاولة الحفاظ على السلم والأمن الدوليين. ولتحقيق ذلك تم توقيع عدد من المعاهدات والاتفاقيات بين الدول لتكون المرجع والفيصل بالنسبة لسلوك الدول سواء في حالات الحروب والصراعات أو في حالات الاحتلال.

وتظهر أهمية القانون الدولي الإنساني في فلسطين بسبب الصراع الكبير الدائر فيها منذ عام 1948. وبسبب طول مدة هذا الصراع وتعدد مراحله، أدى ذلك لنشوء تعقيدات كبيرة في الحالة الفلسطينية، والخلاف الدولي حول الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وبخاصة بعد عام 1967.

بالإضافة إلى ذلك فإن طول مدة هذا الصراع واحتدامه، أدى إلى احتجاز وأسر مئات الآلاف من الفلسطينيين ضمن السجون الإسرائيلية. (*)

وفي هذا البحث سيتم دراسة مدى تطبيق أحكام القانون الدولي الإنساني وبالأخص اتفاقيات جنيف الثالثة والرابعة على هؤلاء الأسرى والمحتجزين في ظل التعقيدات القانونية الكبيرة التي تواجه الفلسطينيين، وذلك بعد دراسة واقع هؤلاء ضمن المعتقلات والسجون الإسرائيلية وفيما إذا كانوا يتعرضون لانتهاكات قانونية تتيحها القوانين الداخلية أم لا.

(*) تقرير صادر عن وزارة الأسرى والمحربين، 2009/9/15: أصدرت دائرة الإحصاء بوزارة الأسرى والمحربين تقريراً إحصائياً أعلنت فيه بأن قوات الاحتلال الإسرائيلي اعتقلت منذ العام 1967 ولغاية 2009 قرابة (750) ألف مواطن، بينهم (12) ألف مواطنة وعشرات الآلاف من الأطفال، وأن تلك الاعتقالات لم تقتصر على شريحة معينة أو فئة عمرية محددة، بل طالت كافة فئات المجتمع الفلسطيني وشرائحه المختلفة، ذكراً وإناثاً، شيوخاً وأطفالاً دون تمييز.

مشكلة البحث:

بعد سيطرة القوات الإسرائيلية على ما تبقى من الأراضي الفلسطينية في حزيران عام 1967، تم إصدار الأمر العسكري رقم (3) من قبل القائد العسكري (حاييم هرتسوغ)، والذي جاء في مادته (35): "يترتب على المحكمة العسكرية تطبيق أحكام اتفاقية جنيف الرابعة (1949/8/12) بخصوص حماية المدنيين أثناء الحرب والاحتلال، والتأكيد على أن تلتزم المحكمة العسكرية بتطبيق أحكام اتفاقية جنيف الرابعة فيما يتعلق بالإجراءات القضائية، وإذا وجد تناقض بين هذا الأمر وبين الاتفاقية فتكون الأفضلية لأحكام اتفاقية جنيف".⁽¹⁾

بعدها وفي نفس العام أصدر القائد العسكري الإسرائيلي لمنطقة الضفة الغربية، الأمر العسكري رقم (144) الذي نص على أن "أحكام اتفاقية جنيف الرابعة لا تتمتع بالسمو والأفضلية على القانون الإسرائيلي وتعليمات القيادة العسكرية، وأن ما تضمنته المادة 35 من الأمر العسكري رقم (3) من إشارة إلى اتفاقية جنيف الرابعة قد جاء بطريق الخطأ".⁽²⁾

(1) رجا شحادة / قانون المحتل - إسرائيل والضفة الغربية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان 1990 ص5 (بتصرف)

وانطلاقاً من ذلك يمكن صياغة سؤال البحث الأساسي كما يلي:

هل يتم حماية حقوق الأسرى والمحتجزين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية عن طريق تطبيق أحكام القانون الدولي الإنساني، في ظل التضارب بين القوانين الداخلية والدولية؟

تساؤلات البحث الفرعية:

ماهي إجراءات الاعتقال والمحاكمة المطبقة على الفلسطينيين بعد عام 1967 ضمن الأراضي المحتلة؟

ما مدى تعرض الأسرى والمحتجزين في السجون الإسرائيلية لانتهاكات قانونية؟

ما هي فاعلية أحكام القانون الدولي الإنساني في السجون والمعتقلات الإسرائيلية؟

أهمية البحث:

مع العلم بأن هذا البحث هو ليس الأول من نوعه، وعلى الرغم من وجود العديد من الأبحاث والدراسات حول تطبيق أحكام القانون الدولي الإنساني في فلسطين وبمختلف المجالات، إلا أن أهمية هذا البحث تأتي من حيث الاستمرار بمتابعة واقع الأسرى الفلسطينيين وكاستمرارية لما جاء في أبحاث مشابهة سابقة، واستبيان مدى حماية حقوق هؤلاء في السجون الإسرائيلية نظراً لأهمية هذا الموضوع على المستوى الإنساني والقانوني.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

بيان الأسس المتبعة والإجراءات القانونية في التعامل مع الأسرى والمحتجزين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية.

تسليط الضوء على واقع الأسرى والمحتجزين في السجون الإسرائيلية.

دراسة مدى التزام السلطات الإسرائيلية بأحكام القانون الدولي الإنساني وخاصة اتفاقيات جنيف الثالثة والرابعة.

فرضية البحث:

لا يتم تطبيق أحكام القانون الدولي الإنساني لحماية حقوق الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية بشكل فعال بسبب تضارب القوانين الداخلية والدولية في هذا المجال.

منهج البحث:

يقوم هذا البحث على المنهجين الاستنباطي (التحليلي) والوصفي، في تناول الأوجه القانونية والتطبيقية لموضوع البحث.

الدراسات السابقة:

دراسة (شروق تيسير عبد الغني أبو دبوس) بعنوان "تطبيق القانون الدولي الإنساني - رسالة ماجستير في القانون العام" ، كلية الحقوق ، جامعة الشرق الأوسط ، 2020، الأردن.

أهداف البحث: التطرق لصعوبات تطبيق القانون الدولي الإنساني وإظهار مواطن العجز في اتفاقيات جنيف الأربعة.

أدوات البحث: عدد من الكتب ورسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه بالإضافة للأبحاث والمقالات والمواقع الالكترونية.

أهم النتائج: التأكيد على أهمية القانون الدولي الإنساني في النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية لحماية ضحايا النزاعات من مدنيين وأسرى حرب. ووصف الصعوبات التي تعيق تطبيق القانون الدولي الإنساني سواء من الدول الأطراف أو من المجتمع الدولي.

دراسة (د. كمال قبعة) بعنوان: الوضع القانوني لأسرى المقاومة الفلسطينية منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، شؤون فلسطينية العدد 252 ربيع 2013.

أهداف البحث: الإسهام في تناول أجوبة بعض الأسئلة بشأن العديد من الجوانب القانونية، والتي تتعلق بالوضع القانوني لأسرى المقاومة الفلسطينية وإظهار جوانب الانتهاكات الإسرائيلية الجسيمة للوضع القانوني الدولي للأسرى.

أدوات البحث: تقارير صحفية ومنظمات دولية وكتب.

أهم النتائج: تسليط الضوء على عدد من الانتهاكات القانونية الإسرائيلية لحقوق الأسرى بالإضافة لعدد من التوصيات التي تسهم بتفعيل آليات الشرعية الدولية في هذا المجال.

دراسة (رأفت خليل حمدونة) بعنوان: العزل الانفرادي في السجون الإسرائيلية انتهاك خطير للقانون الدولي الإنساني، مركز الأسرى للدراسات، 2012.

أهداف البحث: تناول واقع العزل الانفرادي مقارنة بالقانون الدولي الإنساني ومواد اتفاقية جنيف الرابعة بشأن حماية الأشخاص المدنيين في وقت الحرب.

أدوات البحث: استشارة قانونية ولقاءات مع موظفين في مؤسسات دولية والاطلاع على دراسات ورسائل خرجت من السجون (قديمة وحديثة) وتقارير لمراكز أبحاث ومؤسسات واتفاقيات دولية بالإضافة لشهادات مشفوعة بالقسم لأسرى في السجون وأسرى محررين.

أهم النتائج: التعريف بتفاصيل الانتهاكات الإسرائيلية بحق الأسرى المعزولين.

بعد الاطلاع على هذه الدراسات الهامة والاستفادة من بعض معلوماتها كمراجع في هذا البحث وخاصة التي تتعلق بالانتهاكات القانونية التي يتعرض لها الأسرى في السجون الإسرائيلية، إذ انها تتشابه في محتواها مع بعض تساؤلات هذا البحث. إلا أنه قد تم الإضافة عليها دراسة الوضع القانوني للأراضي الفلسطينية كما تراه أطراف النزاع المختلفة وكيفية تطبيق -أو عدم تطبيق- اتفاقيات جنيف الثالثة والرابعة تبعاً لذلك. هذا بالإضافة لاختلاف النتائج والتوصيات بين هذا البحث والأبحاث السابقة الذكر.

المبحث الأول: الإجراءات القانونية وواقع الأسرى

سيتم في هذا المبحث دراسة الإجراءات القانونية وواقع الأسرى من خلال تحليل القوانين والإجراءات المتبعة في عمليات الاعتقال والمحاكمة وما يليها من إجراءات التعامل مع الأسرى والمحتجزين بعد الاعتقال ومن ثم دراسة واقع هؤلاء الأسرى في السجون الإسرائيلية.

المطلب الأول: إجراءات الاعتقال والمحاكمة وما يليها من إجراءات التعامل مع الأسرى والمحتجزين:

المحاكم العسكرية الإسرائيلية الخاصة بالفلسطينيين في الأراضي المحتلة عام 1967:

يخول القانون الدولي السلطة المحتلة إنشاء محاكم عسكرية للنظر في قضايا الأشخاص المتهمين بالقيام بأعمال تهدد سلطة الاحتلال وفي شهر تموز عام 1967 أنشأت إسرائيل محاكم عسكرية للنظر في المخالفات الأمنية في الضفة الغربية (بمقتضى الأمر العسكري رقم 3 والذي استبدل فيما بعد بالأمر العسكري رقم 378 الذي حدد أيضاً التهم الأمنية). ومع الأيام تم إنشاء هيئات قضائية أخرى خاضعة للسلطة العسكرية. وبينما تزايدت المسائل الخاضعة لقضاء المحاكم العسكرية، تناقصت تلك الخاضعة لقضاء المحاكم المحلية. (3)

ومنذ إنشاء جهاز القضاء العسكري في الضفة الغربية عام 1967 كان المدعي العام العسكري هو الشخص المخول بتعيين القضاة العسكريين للعمل في المحاكم العسكرية، وكذلك المدعين العسكريين، في الضفة الغربية وقطاع غزة. وهم طبعاً جنود وضباط في الجيش الإسرائيلي، ما يعني أن عنصر الاستقلالية كان مفقوداً في هذا الجهاز. كما ولم يشترط الأمر العسكري 378 على القضاة العسكريين أن يكونوا قد مارسوا مهنة المحاماة أو القضاء أمام الجهاز المدني أو الجهاز العسكري في السابق، كان يكفي أن يكون الشخص صاحب خلفية قانونية دون تحديد أي شرط آخر، علماً أنه حين كانت المحكمة تعقد في هيئة مشكلة من 3 قضاة، كان يكفي أن يكون رئيس الهيئة قاضياً، أي ذو خبرة قانونية، أما قضاة الطرف، فيمكن أن يكونوا فقط ضباطاً في الجيش الإسرائيلي. هذا يعني أن آلاف المعتقلين الفلسطينيين قد حوكموا أمام هذه المحاكم العسكرية التي شكلت من ضباط دون أية خبرة قانونية أو قضائية ودون أي اعتبار لمبادئ المحاكمات العادلة، وبقي الوضع على هذا الحال حتى العام 2004 حين عدل الأمر العسكري رقم 378 بأمر جديد يشترط أن يكون كافة القضاة ذوي خبرة قانونية. (4)

بعد فترة التوقيف الأولى، يحتجز المعتقل في مراكز التوقيف الإسرائيلية، ليتم تحويله بعدها إلى الاعتقال الإداري، أو يوقف لتقديم لائحة الاتهام ضده، أو يفرج عنه. وبحسب الأنظمة العسكرية الإسرائيلية، فإن مدة التوقيف قد تستمر لـ 180 يوماً يتم خلالها تقديم لائحة اتهام ضد المعتقل.

والاعتقال الإداري هو اعتقال بدون تهمة أو محاكمة، تقوم به السلطة التنفيذية (وليس السلطة القضائية)، يعتمد على ملف سري وأدلة سرية لا يمكن للمعتقل أو محاميه الاطلاع عليها، ويمكن

، تاريخ الزيارة : https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=4889 :جهاز المحاكم في إسرائيل، مركز المعلومات الوطني الفلسطيني وفا، عبر الرابط (1) 2023/06/29

حسب الأوامر العسكرية الإسرائيلية تجديد أمر الاعتقال الإداري (الذي يتم استصداره لمدة أقصاها ستة أشهر قابلة للتجديد) عدداً غير محدود من المرات. وتستخدم إسرائيل هذه السياسة منذ عام 1967.

رجا شحادة / قانون المحتل - إسرائيل والضفة الغربية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان 1990 ص 91 (1)

"سجنت السلطات الإسرائيلية مئات آلاف الفلسطينيين منذ عام 1967، معظمهم بعد محاكمات في محاكم عسكرية، وهي لديها نسبة إدانة تقارب 100%. بالإضافة إلى ذلك، يخضع مئات الأشخاص كل عام للاعتقال الإداري استناداً إلى أدلة سرية دون توجيه تهم إليهم أو محاكمتهم. تم احتجاز بعضهم أو سجنهم بسبب تورطهم في نشاط غير عنيف. كما تسجن إسرائيل المعتقلين الفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة داخل إسرائيل، مما يخلق قيوداً مشددة على الزيارات الأسرية وينتهك القانون الدولي الذي يقضي باحتجازهم داخل الأراضي المحتلة." (5)

وبالرغم من حق المعتقل إدارياً أن يطعن في أمر اعتقاله أمام لجان الاعتراض، إلا أن المعتقل إدارياً لا يبلغ ولا محاميه بتفاصيل الأدلة المقدمة ضده، حيث يعتبر ملفه سرياً وفق مقتضيات الأمن، وتدعي السلطات الإسرائيلية عدم جواز كشف بيانات ملفات الأسرى حفاظاً على سلامة مصادر هذه المعلومات. ولهذا فليس بإمكان محامي الدفاع عن المعتقل استجواب الشهود أو مناقشتهم أو حتى الاستفسار عن وجودهم.

أن "الاعتقال الإداري إجراء أمني قانوني يسمح بحرمان الشخص من حريته كرد على أسئلة خبراء لجنة حقوق الإنسان في جنيف (آذار 2022) برئاسة فوتوني بازارتسيس، والتي طرحت أسئلة تتعلق بمسألة الاعتقال الإداري، وحول استخدام الأدلة السرية في إجراءات الاعتقال الإداري وممارسة احتجاز القاصرين إدارياً والمدة القصوى للاحتجاز الإداري.

لفترة محدودة. وقد كان تدبيراً وقائياً ضد شخص يشكل تهديداً خطيراً لأمن الضفة الغربية ودولة إسرائيل، وقد أجاز القانون الدولي، وتحديدًا قانون الاحتلال الحربي، استخدام الاعتقال الإداري في الأراضي الواقعة تحت الاحتلال العسكري. لا يمكن استخدام الاعتقال الإداري حيثما كانت الملاحقة الجنائية ممكنة. بسبب الوضع الأمني المعقد، صدرت أوامر اعتقال ضد أولئك الذين يخططون لهجمات انتحارية أو إرهابية أخرى، أو يساعدون بشكل فعال في ارتكاب مثل هذه الأعمال، من بين أمور أخرى. وفيما يتعلق بالاعتقال الإداري للقاصرين، قال الوفد إن إسرائيل قامت في السنوات الأخيرة بتقييد هذه الممارسة بشدة، وفي الوقت الحالي لا يوجد سوى ثلاثة قاصرين رهن الاعتقال الإداري." (6)

إذاً فالسلطات الإسرائيلية لا تتكرر قيامها بهذا الإجراء على نطاق واسع، كما أنها لا تتكرر قيامها باعتقال القاصرين، وبما أن الاعتقال الإداري قائم بالأساس على الاشتباه ولا يخضع لمعايير تحدد الجرم الذي تم على أساسه اعتقال المشتبه به، فهو لا يهدف إلى معاقبة الشخص على مخالفة أو جرم ما، بل يهدف إلى منع وقوع المخالفة مستقبلاً، لذلك تم اعتقال الآلاف من الشباب والنساء وحتى الأطفال في السجون الإسرائيلية.

"وقد قامت الحكومة الإسرائيلية بتمديد فترة اعتقال أمل نخلة حتى 2022/5/18، دون توجيه تهمة إليه أو محاكمته. كان أمل في الـ 17 من العمر حين اعتقاله، وهو رهن الاعتقال الإداري منذ أكثر من عام 2021. لم يتم إبلاغ أمل ولا محاميه أو عائلته عن أسباب اعتقاله واحتجازه. ويعاني أمل من مرض مناعي حاد يتطلب علاجاً ومراقبة طبية مستمرين." (7)

بالإضافة للاعتقال الإداري، تستخدم السلطات الإسرائيلية العزل الانفرادي كعقوبة بحق الأسرى على مخالفة "انضباطية" داخل السجن. وهناك الكثير من الأسرى قضوا مدداً طويلة قد تصل إلى أعوام في العزل الانفرادي ضمن غرف عزل بعيداً عن باقي الأسرى والمحتجزين في أقسام السجون، ووضع هؤلاء في زنازين انفرادية صغيرة لا تتجاوز أبعادها (3م * 3.5م) يخرجون منها

لمدة ساعة أو ساعتين فقط يومياً وأحياناً مكبلي الأيدي والأرجل ويعانون سوء الرعاية الطبية وفي ظروف صعبة للغاية نتيجة قلة التهوية وضوء الشمس وبسبب الرطوبة والحشرات.

ولا يعني العزل تواجد الأسير وحيداً في زنزانة صغيرة - أو مع أسير واحد آخر - فقط، وإنما هو عزل كامل عن طريق إلغاء خروجه إلى ساحة السجن، وعدم مشاركته وجبات الطعام مع باقي الأسرى، ومنع أي نشاط عنه في السجن وغالباً ما تتم مصادرة متعلقاته الشخصية.

والقرار الأساسي المتخذ بحق أي معزول لا يقرره القضاة في المحاكم بل يقرره "ضباط الأمن الداخلي - الشاباك" أو ضباط أمن "إدارة مصلحة السجون - الشاباك" ويعود لهؤلاء وحدهم تقدير المدة الزمنية التي ينبغي أن يمضيها المعزول في العزل. (8) وقد وضعت حكومة إسرائيل غطاءً قانونياً لسياسة العزل الانفرادي، وهي الدولة الوحيدة في العالم التي تشترع بقانون انتهاكاتها لحقوق الإنسان الأسير. فقانون مصلحة السجون (الصيغة الجديدة) الإسرائيلية لعام 1971، ينص على السماح بعزل الأسير تحت حجج أمنية، بحيث أصبح العزل وسيلة مشروعة بيد مدير السجن وضباطه. وبحسب ذلك القانون يمكن عزل المعتقل للأسباب التالية: أمن الدولة، وأمن السجن، والحفاظ على سلامة وصحة المعتقل أو المعتقلين الآخرين، ومنع الإضرار الحقيقي بالانضباط أو بنظام الحياة المتبع في السجن. (9)

إذاً، وكما تبين من الأدلة السابقة، إن الاعتقال الإداري لا يوجد له معايير وضوابط واضحة، كذلك قرارات عزل الأسرى ليس لها معايير وضوابط واضحة. فيمكن لمدير السجن إصدار هذا الأمر بحق أي أسير أو محتجز تحت مسمى أمن السجن مثلاً أو منع الإضرار بنظام الحياة المتبع في السجن، أو أي من الأسباب الأخرى التي لا يوجد معايير واضحة لها. كما بإمكانه تمديد مدة العزل لنفس هذه الأسباب.

وقد قضى بعض الأسرى في غرف العزل أياماً أو أشهراً وبعضهم وصل لسنوات بدون مبررات قانونية واضحة أو أدلة على أنهم يشكلون خطراً أو تهديداً ما، فقط بسبب وجود ملف استخباراتي يفيد أن للأسير تأثيراً تنظيمياً أو ثقافياً على محيطه.

(2) تصريح: تدعو وكالات الأمم المتحدة إلى الإفراج الفوري عن طفل فلسطيني يعاني من مرض خطير محتجز لدى إسرائيل، موقع منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسف)، عبر الرابط: <https://www.unicef.org/ar/> ، تاريخ النشر: 2022/1/20 ، تاريخ الزيارة: 2023/07/04

(3) رأفت خليل حمدونة / العزل الانفرادي في السجون الإسرائيلية انتهاك خطير للقانون الدولي الإنساني، مركز الأسرى للدراسات، عبر الرابط: <https://alasra.ps/ar/index.php?act=post&id=18475> تاريخ النشر: 2012/11/03، تاريخ الزيارة: 202/07/04

المطلب الثاني: واقع الأسرى والمحتجزين في السجون الإسرائيلية ومدى تعرضهم لانتهاكات قانونية:
بعد دراسة المطلب السابق، يتبين أن هناك تداخلاً كبيراً بين المطلب الأول والمطلب الثاني.

إذ أنه بعد دراسة إجراءات التعامل مع الأسرى والمعتقلين الإداريين، أصبح واضحاً أن الانتهاكات القانونية التي يتعرض لها هؤلاء هي بسبب الإجراءات القانونية المتبعة بحقهم ابتداءً بفترة التوقيف والاعتقال والمحاكمة ومن ثم السجن. وفي هذا المطلب سيتم إدراج بعض الشهادات التي توضح أساليب التعذيب التي يتعرض لها الأسرى.

وبداية يجب ذكر تعريف للتعذيب وهو "أي عمل ينتج عنه ألم أو عذاب شديد، جسدياً كان أم عقلياً، يلحق عمداً بشخص ما بقصد الحصول من هذا الشخص، أو من شخص ثالث، على معلومات أو على اعتراف، أو معاقبته على عمل ارتكبه أو يشتبه في أنه ارتكبه، هو أو شخص ثالث أو تخويفه أو إرغامه هو أو أي شخص ثالث، أو عندما يلحق مثل هذا الألم أو العذاب لأي سبب يقوم على التمييز أياً كان نوعه، أو يحرض عليه أو يوافق عليه أو يسكت عنه موظف رسمي أو أي شخص يتصرف بصفته الرسمية، ولا يتضمن ذلك الألم أو العذاب الناشئ فقط عن عقوبات قانونية أو الملازم لهذه العقوبات أو الذي يكون نتيجة عرضية لها". (10)

ويعتبر العزل ضرباً من ضروب التعذيب النفسي المحظورة بموجب المادة الأولى من اتفاقية مناهضة التعذيب المبرمة في العام 1984، كما يعتبر العزل من أساليب المعاملة اللاإنسانية والحاطة بالكرامة

ومما يعاني منه الأسرى في غرف العزل، بالإضافة للمشاكل الصحية، مشاكل عصبية ونفسية بسبب تواجدهم في زنازين ضيقة قد لا يستطيعون الوقوف فيها أحياناً. وبسبب منعهم من الحديث مع أي من الأسرى وحتى السجناء، بالإضافة لمنع الزيارات العائلية وزيارة محامي الدفاع، وسوء التغذية والرعاية الصحية وأحياناً منعها بالملق، وبسبب بقاء مصير هؤلاء معلق بقرار ضباط السجن أو ضباط الشاباك، لذلك يلجأ معظم هؤلاء الأسرى المعزولين للإضراب عن الطعام لتحصيل البعض من حقوقهم أو إبطال رسالتهم للعالم الخارجي، وفي بعض الأحيان حتى الإضراب عن الطعام ولو لفترات طويلة قد لا يجدي نفعاً.

وقالت مديرة المكتب الإقليمي للشرق الأوسط وشمال إفريقيا في منظمة العفو الدولية: "خضر عدنان هو أول أسير فلسطيني يموت نتيجة للإضراب عن الطعام منذ عام 1992. وعندما كانت حياته في خطر محقق، رفضت السلطات الإسرائيلية حصوله على الرعاية المتخصصة التي يحتاجها في مستشفى مدني، وتركته عوضاً عن ذلك يموت وحيداً في زنزانته. إنَّ المعاملة المروعة لأسير بارز مثله هي أحدث مؤشر مقلق على أن السلطات الإسرائيلية تزداد فظاظة في ازديادها لحقوق

المحظورة بمقتضى المادة (7) من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والحقوق السياسية. إضافة إلى ذلك، فإن ظروف العزل لا تلائم الحد الأدنى من المقاييس الصحية للسجون ومراكز الاعتقال التي توجبها المادتان (91) و(92) من اتفاقية جنيف الرابعة. (11)

بالإضافة إلى ذلك، يتعرض المحتجزون ابتداءً من مرحلة التوقيف والتحقيق وانتهاءً بمحاكمتهم وسجنهم إلى مختلف أشكال التعنيف والإساءة. وهناك العديد منهم اضطروا إلى توقيع اعترافات باللغة العبرية التي لا يتقنونها للتخلص من التعذيب أثناء الاستجواب.

وقد قام جهاز الاستخبارات الإسرائيلية، ومصلحة السجون الإسرائيلية، والقوات العسكرية الإسرائيلية، على مدى عقود، بتعذيب المعتقلين الفلسطينيين ومعاملتهم بكافة أنواع المعاملة السيئة، ومن بينهم أطفال، أثناء القبض عليهم ونقلهم واستجوابهم.

ويستخدم جهاز الاستخبارات الإسرائيلي أساليب قاسية بوجه خاص للحصول على معلومات واعترافات. ومن بين الأساليب المستخدمة التي يبلغ عنها المعتقلون الفلسطينيون بشكل متواتر: التكبيل والربط بشكل مؤلم، والتثبيت في أوضاع مجهدة، والحرمان من النوم، والتهديدات، والمضايقات الجنسية، والحبس الانفرادي لفترات مطولة، والإساءات اللفظية. وقد قبلت محاكم إسرائيلية أدلة منتزعة عن طريق تعذيب الفلسطينيين، وقبلت مبرر "الضرورة". ومن النادر للغاية أن تجري السلطات الإسرائيلية تحقيقات وافية ومحايدة على وجه السرعة في ادعاءات الفلسطينيين بتعرضهم للتعذيب، وهو ما يمنح فعلياً موافقة الدولة على جريمة التعذيب.⁽¹³⁾

هذا بالإضافة إلى منع الزيارات أو تقييدها بشدة بسبب احتجاز الأسرى الفلسطينيين ضمن سجون إسرائيلية تقع خارج الضفة الغربية وقطاع غزة مما يؤدي لمنع زيارة ذويهم لهم بالمطلق.

وتختلف أشكال التعذيب التي يمارسها جهاز الأمن العام "الشاباك" بحق الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين لتحطيم معنوياتهم وانتزاع اعترافات أو معلومات منهم. ومن أبرزها: وثق أيدي وأرجل المعتقل وهو جالس على كرسي صغير وتغطية وجهه بكيس مبلل بالماء (الشبح) وإبقائه على هذه الحالة لساعات أو أيام متواصلة، تعريض المعتقل لأصوات موسيقية عالية جداً بما يتسبب له بالألم وأذى شديد بالأذنين، العزل في الزنزانة أو في غرفة ضيقة جداً، الإمساك بصدر المعتقل وهز الطرف العلوي من جسده بقوة شديدة للأمام والوراء بحيث يهتز الرأس والرقبة لعدة مرات متتالية (تسبب ذلك بوفاة عدد من الفلسطينيين)، الحرمان من النوم، الحرمان من الطعام، تعريض المعتقل للبرد الشديد أو للحرارة العالية، تهديد المعتقل والتهديد بعائلته، اعتقال الأقارب كوسيلة للضغط النفسي والترهيب، الحرمان من تلقي الخدمات الطبية، حرمان المعتقل من تغيير ملابسه لفترات طويلة. وغيرها من أشكال وأساليب التعذيب.⁽¹⁴⁾

"واستخدمت سلطات الاحتلال الشبح بأشكال مختلفة منها "الموزة" (حيث يتم تقييد اليدين والقدمين بشكل قوس بحيث ينحني الظهر للخلف)، مع تقييد اليدين إلى الخلف مربوطة بكتل حديدية ثقيلة أسفل الظهر، مما يسمح للمحققين بالجلوس على صدور الأسرى وتعريضهم للضرب والخنق أحياناً، كما حدث مع وليد حناتشة. وكذلك نتف شعر الرأس واللحية والتسبب بتقرحات، إلى جانب الضرب العنيف على الوجه والرأس والصدر والأفخاذ والأيدي والأقدام. وتعرض معظم المعتقلين لحالات إغماء، واستمر وقد كشفت صحيفة "يديعوت أحرنوت" النقاب عن وثيقة أعدتها أجهزة المخابرات الإسرائيلية وصنفت كـ "سرية جداً" تسمح باستخدام أساليب تحقيق غير عادية وغير تقليدية ضد معتقلين أمنيين، وهذه هي الوثيقة التي مكنت المحققين طوال السنوات الماضية من استخدام أساليب الصفع على الوجه والهز العنيف والمستمر، والحرمان من النوم، ومن المأكّل والمشرب، وتغطية الرأس بكيس نتن ذي رائحة كريهة، والشتم والتهديد كأساليب تحقيق مع المعتقلين الأمنيين الذين يرفضون التعاون ويعتبرون "معادين".⁽¹⁶⁾

كما ويعاني الأسرى الفلسطينيون في السجون ومراكز التوقيف الإسرائيلية من الازدحام الشديد وسوء أحوال هذه المراكز، ولا يتم في معظمها فصل البالغين عن القصر، ويفترش فيها الموقوفون الأرض أو ينامون على فرشاة رقيقة جداً.

وكما تشير الأدلة السابقة، فإن الأسرى يتعرضون لانتهاكات قانونية تتعارض مع كافة أحكام القانون الدولي الإنساني. والفلسطيني بشكل عام مهدد بالاعتقال الإداري في أي لحظة تحت غطاء القانون الداخلي الإسرائيلي. وعندما يتم الاعتقال فهو يتعرض لشتى أنواع التعذيب والحرمان من الحقوق القانونية التي يفترض أن تضمنها أحكام اتفاقيات جنيف الثالثة والرابعة. إذاً ما مدى تطبيق أحكام القانون الدولي الإنساني في ظل هذه الانتهاكات وما هي فاعليته في حماية حقوق الأسرى والمحتجزين ضمن السجون الإسرائيلية؟ هذا ما سوف يتطرق إليه المبحث الثاني.

المبحث الثاني: مدى تطبيق القانون الدولي الإنساني وفاعليته في حماية حقوق الأسرى والمحتجزين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية

للبدء في هذا المبحث ودراسة مدى تطبيق القانون الدولي الإنساني وفاعليته في حماية الأسرى والمحتجزين في السجون الإسرائيلية، علينا أولاً تحليل الحالة القانونية لسلطة إسرائيل على الأراضي المسيطر عليها من قبلها بعد عام 1967. وهل هي أراضي محتلة أم متنازع عليها، وهل هناك سلطة فعلية لإسرائيل على هذه الأراضي، وأي من أحكام اتفاقيات جنيف تنطبق على المحتجزين في السجون الإسرائيلية ضمن هذه الأراضي.

المطلب الأول: مدى اعتراف والتزام السلطات الإسرائيلية بتطبيق أحكام القانون الدولي الإنساني في المعتقلات والسجون:

- في حزيران عام 1967 تم تعيين "موشيه دايان" وزيراً للدفاع في حكومة الوحدة الوطنية. وفي نفس الشهر استولت إسرائيل على الضفة الغربية، وقطاع غزة، وشبه جزيرة سيناء، ومرتفعات الجولان. بعدها تم ضم القطاع الشرقي من القدس وبعض الضواحي المحيطة بها لإسرائيل.

- وفي شهر تمّوز 1967 وضعت صيغة مشروع ألون* وبعدها تم تأسيس أول مستعمرة يهودية (كيبوتس ميروم هغولان) قرب القنيطرة في الجولان.

- وفي نيسان عام 1968 أقرت الحكومة الإسرائيلية مستعمرة كريات أربع خارج الخليل.

- بعد ذلك بدأت إقامة المستعمرات المرخص بها وإقرار المستعمرات غير المأذون بها في الضفة الغربية. هذا بالتوازي مع العمليات العسكرية والسياسية لفرض سلطة إسرائيل على هذه المناطق.⁽¹⁷⁾

نجد من هذا التسلسل التاريخي أن إسرائيل قد فرضت سلطتها على هذه المناطق بطريقة عسكرية وبعدها بدأت بإقامة المستوطنات اليهودية ضمن هذه الأراضي. وفي القانون الدولي، تعتبر منطقة ما "محتلة" عندما تخضع فعلياً لسلطة جيش معاد.

إذ تنص المادة 42 من لائحة لاهاي لعام 1907 على ما يلي "تعتبر أرض الدولة محتلة حين تكون تحت السلطة الفعلية لجيش العدو. ولا يشمل الاحتلال سوى الأراضي التي يمكن أن تمارس فيها هذه السلطة بعد قيامها".⁽¹⁸⁾

ومما سبق نتبين أن الأراضي الفلسطينية التي فرضت إسرائيل سلطتها عليها بعد عام 1967 هي أراضٍ محتلة وبالتالي تنطبق عليها أحكام اتفاقيات جنيف الأربعة.

إذ تنص المادة الثانية المشتركة من اتفاقيات جنيف الأربع لعام 1949 على أن هذه الاتفاقيات تسري على أي أرض يتم احتلالها أثناء عمليات عدائية دولية. كما تسري أيضاً في الحالات التي لا يواجه وبما أن هذه البحث يتعلق بحماية حقوق الأسرى والمحتجزين في السجون الإسرائيلية لذلك سيتم التطرق لأحكام اتفاقيات جنيف الثالثة والرابعة فقط.

● الاتفاقية الثالثة: اتفاقية أساليب التعامل مع أسرى الحرب، فقد وضعت شروط وقواعد توضح الأسرى المشمولين في هذه الاتفاقية، من حيث ظروف الاعتقال ومكانه، وما عملهم، ومصادر أموالهم، ويجب أن يكونوا قد وقعوا أسرى تحت نظام الدولة، وليس بيد جماعات أو جهات عسكرية، ويجب عدم ممارسة التهديد والتعذيب عليهم، ولا حتى قتلهم، وأن يتم توفير العناية الطبية لهم، وأن يتم احترام كرامتهم.

● الاتفاقية الرابعة: اتفاقية حماية المدنيين أثناء الحرب، وكيف يجب معاملتهم من قبل دولة الاحتلال، كما تمنع استهداف المستشفيات المدنية وطاقمها بأي هجوم أو اعتداء، ويمنع المساس بإنسانية المدنيين وشرفهم، ويجب احترام عاداتهم وتقاليدهم، وحرمتهم بممارسة معتقداتهم الدينية، وعدم ترهيبهم وتهديدهم.⁽²⁰⁾

إلا أن وجهة النظر الإسرائيلية تجاه المناطق التي تسيطر عليها منذ عام 1967 تختلف تماماً، وترى أنه لا تنطبق على هذه المناطق صفة "الأراضي الفلسطينية المحتلة" لعدة أسباب أهمها أن المناطق

التي تقع في "الضفة الغربية" لنهر الأردن، لم تكن قط جزءاً تم انتزاعه من دولة، وأن الكيان الفلسطيني لم يكن قائماً بالأساس ولم توقع أي معاهدة أو اتفاق ولا صدر قرار أو وثيقة دولية ملزمة تمنح هذه الأرض للفلسطينيين. وكذلك فإن منظمة التحرير الفلسطينية، بصفتها الممثل الرسمي للشعب الفلسطيني هي المسؤولة عن جميع سلطات ومسؤوليات حكم وإدارة مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة (فيما عدى المنطقة ج) بناء على اتفاق أوسلو 2 في واشنطن عام 1995.

"إن وصف المناطق المعروفة تاريخياً باسم يهودا والسامرة، وقطاع غزة، والجزء الشرقي من القدس التي تسيطر عليها إسرائيل منذ عام 1967 بأنها "أرض فلسطينية محتلة". فهذا التعبير غير دقيق من الناحية التاريخية والقانونية وله دوافع سياسية واضحة".⁽²¹⁾

وبما أن وجهة النظر هذه تنفي حتمية صفة "الاحتلال" عن هذه المناطق، لذلك نجد أنه من السهولة بمكان التملص من تنفيذ اتفاقيات جنيف. كما أنه ونظراً للتعقيدات القانونية والسياسية والدولية بالإضافة لطول مدة هذا الاحتلال، فقد تم سنّ عدة قوانين وتعديلات عبر عقود من الزمن تتيح للسلطات الإسرائيلية القيام بانتهاكات للقانون الدولي الإنساني بغطاء قانوني داخلي. وكمثال على ذلك "تعديل قانون العقوبات" الذي يقرر أن الشخص لن يتحمل أية مسؤولية جرمية إذا ما تصرف، سواء بالتفويض أو عن طريق الخطأ، ليدفع عن نفسه اعتداء يعرض حياته، أو حريته، أو شخصه، أو ممتلكاته، أو حياة وحرية وشخص وممتلكات غيره للخطر. وقد أطلق الصحافي

ب. ميخائيل، من "هآرتس"، على هذا التعديل اسم "قانون الصيد الحر" (1992/3/20)، إذ كتب:

"كلمات قليلة فحسب، لكنها كلمات تحمل كثيراً من الشرور. وهذا القانون، كالكثير غيره من القوانين الجائرة، قد صمم ليسهل على آلة الاحتلال وعلى يهود المناطق (المحتلة) أن يتنمّروا على العرب هناك، وأن يصدروا الأحكام عليهم. فقد سئم الإسرائيليون ما تسببه لهم من إزعاج ضرورة أن يرفعوا تقريراً كلما زرعوا رصاصة في رأس عربي قذر. ولما كان ثمة لوبي برلماني متجهم، جاهز للاستجابة لكل نزوة من نزواتهم، فقد استجيب طلبهم استجابة تامة. فمن الآن فصاعداً، بات في وسعهم أن يطلقوا

الرصاص على رماة الحجارة، وأن يطاردوا الصبية الذين يرشقون الحجارة / أو كانوا على وشك رمي الحجارة / أو كانوا ينوون رشق الحجارة، وأن يثقبوا أجسامهم بالرصاص. وسيكون ذلك كله كوشيرا (حلالاً)، وشرعياً، ومباحاً." (22)

ومن تحليل الموقف الإسرائيلي تجاه واقع احتلالها للأراضي الفلسطينية، وبعد دراسة المبحث الأول، وملاحظة ما يعانيه الأسرى الفلسطينيون من قوانين جائرة وظروف أسر مهينة وقاسية وما يتعرض له هؤلاء من انتهاكات قانونية ولا إنسانية نجد أنه لا يوجد التزام للسلطات الإسرائيلية بتطبيق أحكام القانون الدولي الإنساني في المعتقلات والسجون كون هذا الجانب هو واحد من عدة جوانب تتبعها السلطات الإسرائيلية في قانونها وقضائها وسياساتها.

المطلب الثاني: فاعلية أحكام القانون الدولي الإنساني في حماية حقوق الأسرى والمحتجزين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية:

بداية، يتوجب علينا التمييز بين الأسير والسجين، فالسجن (أو الحبس) مصطلح يدل على عقوبة سالبة للحرية لأشخاص ارتكبوا أفعالاً مجرّمة بمقتضى القانون الداخلي، في حين أن أسرى الحرب لا يعود سبب احتجازهم لارتكابهم الأفعال المحظورة، وإنما لمنع العدو من مواصلة القتال ليس إلا. (23)

إن اتفاقية جنيف الثالثة هي الاتفاقية المعنية بأساليب التعامل مع أسرى الحرب بشكل رئيسي، إلا أن عدم اعتراف إسرائيل باحتلالها للأراضي الفلسطينية المسيطر عليها بعد عام 1967 يعني عدم اعترافها بحق الفلسطينيين في المقاومة المسلحة للاحتلال، وبالتالي فلا تنطبق عليهم صفة أسرى حرب بل يطلقون عليهم صفة سجناء أمنيين، ولذلك، ومن وجهة نظرهم القانونية، فلا يمكن تطبيق أحكام اتفاقية جنيف الثالثة على هؤلاء، بل تنطبق عليهم أحكام القانون الداخلي الإسرائيلي والأوامر العسكرية والتي تم التطرق إليها سابقاً في هذا البحث والتي تتعارض بالملق مع أحكام اتفاقيات جنيف.

ورغم أن اتفاقية جنيف الرابعة هي الاتفاقية الخاصة بحماية المدنيين إلا أن ما يشوبها من غموض قانوني هو ما يسبب الإشكالية الكبرى عند دراسة حالة وأوضاع المحتجزين في السجون الإسرائيلية. فقد أجازت هذه الاتفاقية اعتقال المدنيين زمن النزاعات المسلحة، إلا أنها قيدت ذلك بالضرورة القصوى على أساس اعتبارات الأمن (وبهذه الحالة يمكن إيجاد عدد لا يحصى من المسوغات القانونية التي تستوجب إصدار أمر الاعتقال)، كما أنها لم تضع تعريفاً محدداً للمعتقل على عكس الأسير في الاتفاقيات السابقة.

"وتقوم قوات الاحتلال سنوياً باعتقال الآلاف من المدنيين الفلسطينيين لا حماية لأمنها كما اشترطت اتفاقية جنيف الرابعة بل بهدف تدمير المجتمع الفلسطيني وإخضاعه للقبول بتوسع المشروع الاستيطاني الصهيوني على بقية أرضه المحتلة. ويات تعذيب المعتقلين الفلسطينيين سياسة ثابتة ومستمرة ومستخدمة على نطاق واسع، وترقى لاعتبارها جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية. ويتم اعتقالهم بموجب الأوامر العسكرية في انتهاك فاضح مستمر لاتفاقيات جنيف الأربع ويتم محاكمتهم أمام محاكم عسكرية فاقدة للاستقلالية والقانونية التي اشترطتها اتفاقية جنيف الرابعة ومعاملتهم بموجب لوائح مصلحة السجون التي تصنفهم باعتبارهم سجناء أمنيين وتحرمهم من أبسط حقوقهم الإنسانية." (24)

وبالنسبة لمنظمات حقوقية وإنسانية دولية، يُنظر إلى الفلسطينيين المحتجزين في السجون الإسرائيلية والتابعين لفصائل المقاومة الفلسطينية على أنهم معتقلون لا أسرى، فمثلاً اللجنة الدولية للصليب الأحمر تبرر ذلك بكون أفراد المقاومة الفلسطينية لا ينتمون إلى دولة - بأركانها الثلاث (الإقليم والشعب والسيادة) - ينطبق عليها القانون الدولي، وأنهم ليسوا مقاتلين في جيش نظامي، كما أن منظمة التحرير الفلسطينية لم تكن طرفاً في حرب عام 1967، (نظراً لتبعية هذه المناطق للأردن ومصر كما دُكر سابقاً) ولهذا فإن هؤلاء الفلسطينيين محرومون من حريتهم لأسباب أمنية وقائية، وتشملهم اتفاقية جنيف الرابعة.

على خلاف ذلك، فإن التوجه الفلسطيني، بشقيه العام والرسمي، يطالب بالتعامل مع هؤلاء الفلسطينيين بوصفهم أسرى حرب، وتطالب السلطة الفلسطينية السلطات الإسرائيلية والتي ترى أنها سلطة احتلال، بالإفراج عنهم باعتبار أن مقاومة الاحتلال حق مشروع في الأعراف والمواثيق الدولية، كما أن المقاومة الفلسطينية تنطبق عليها صفة وشروط المقاومة المنظمة بموجب اتفاقية جنيف الثالثة، من حيث وجود قائد مسؤول عنها، وأن لها علامات مميزة، وتحمل السلاح بشكل ظاهر، كما وتلتزم في عملياتها بقوانين الحرب. لكن اتفاقية جنيف الثالثة قد تمّ تنظيمها لحالات الاحتلال والنزاعات المسلحة القصيرة، والتي يفرّج عن أسير الحرب بموجبها بعد انتهاء النزاع المسلّح، أما في الحالة الفلسطينية فنظراً لطول مدة هذا الاحتلال فإن الأسير بموجب هذه الاتفاقية قد يبقى في الأسر إلى أجل تحدده سلطة القضاء الإسرائيلي.

إذاً فالوضع القانوني للفلسطينيين المحتجزين في السجون الإسرائيلية متشابك ومتنوع في الوقت نفسه، فليس جميع هؤلاء هم مقاتلون حملوا السلاح، بل هنالك مدنيون شاركوا في احتجاجات مدنية، منهم نساء وأطفال.

وبالتالي فيمكن القول بأن فاعلية أحكام القانون الدولي الإنساني بما فيها أحكام اتفاقيات جنيف الثالثة والرابعة هي شبه معدومة في هذا السياق بسبب عدم التوافق على معايير ومسميات محددة ليس فقط لتعريف هذه المناطق بأنها أراضٍ محتلة أو متنازع عليها، بل حتى من جهة تعريف المحتجزين في السجون الإسرائيلية والاتفاق على كونهم معتقلين أم أسرى، وهل تطبق عليهم أحكام اتفاقية جنيف الثالثة أم الرابعة.

والإشكالية الكبرى أن هذا الخلاف هو على صعيد دولي وليس فقط خلاف بين السلطة الإسرائيلية والسلطة الفلسطينية، فكذلك شروط المنظمات الدولية لتوصيف كل حالة من حالات المحتجزين، تختلف تبعاً للاجتهادات القانونية في تحليل واقع هذه المنطقة بالذات.

الخاتمة:

ليس هنالك شك في أن القانون الدولي الإنساني يشكل مكوناً أساسياً ومهماً في جميع حالات النزاع وله قدرة كبيرة على تنظيم سلوك أطراف النزاع كافة والحد من معاناة الأفراد والمساهمة بتوفير أكبر قدر ممكن من الاستقرار في مناطق النزاع.

وإن قضية الأسرى تعتبر أحد أهم أركان القضية الفلسطينية، إلا أن ما يهدد هذه القضية هو الغموض القانوني، والذي تشير الأدلة إلى أن منشأه الأول هو محاولة تتصل إسرائيل من كل الاتفاقيات الدولية التي تلزمها بوصفها دولة احتلال، وتبرير سياسة الاعتقال بحق الشعب الفلسطيني بمبررات أمنية.

بالإضافة إلى وجود مسوغات قانونية إسرائيلية داخلية تتيح ممارسة مختلف أنواع الانتهاكات لحقوق الأسرى والمحتجزين ضمن السجون الإسرائيلية وكذلك تمكّن السلطات الإسرائيلية من التتصل من مسؤولياتها تجاه هذه الانتهاكات، وعدم إمكانية محاسبة المسؤولين الإسرائيليين جزائياً نتيجة التعقيدات القانونية الكثيرة في هذه المنطقة.

نتائج البحث:

1. يتعرض الأسرى والمحتجزون الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية لمختلف أنواع الانتهاكات القانونية، بالإضافة لأساليب التعذيب التي تتعارض مع كافة القوانين والأحكام الدولية التي شرّعت أساساً لصون حقوق وكرامة الإنسان، وذلك بسبب سنّ السلطات الإسرائيلية لعدد من القوانين وتعديل بعضها الآخر بما يسمح بهذه الانتهاكات تحت ذرائع أمنية لا يمكن متابعتها والتحقق من صحتها.
2. لا يتم تطبيق أحكام القانون الدولي الإنساني لحماية حقوق الأسرى والمحتجزين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية بشكل فعال بسبب التضارب بين القوانين الداخلية والدولية في هذا المجال (وعدم سمو القوانين الدولية على القوانين الداخلية الإسرائيلية كما هو متعارف عليه) بالإضافة لعدم تواجد معايير متفق عليها لتوصيف الحالة القانونية لهؤلاء وما يطبق عليها من أحكام اتفاقيات جنيف.
3. الدعوة لتكثيف جهود الحقوقيين المختصين بالقانون الدولي الإنساني لنشر الأبحاث والمقالات والدراسات حول أهمية التوافق على تعاريف واضحة ومحددة وإيجاد معايير ثابتة للتعامل مع الأسرى والمحتجزين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية في ظل الواقع الحالي، لتكون هذه الأبحاث والدراسات بمثابة محفّز للمنظمات الدولية الفاعلة في هذا المجال حتى يتم الانطلاق بعدها لمرحلة العمل على تفعيل اتفاقيات جنيف في السجون الإسرائيلية ومحاسبة المسؤولين عن كل الانتهاكات التي يتعرض لها الفلسطينيون والتي تخالف جميع الأعراف والقوانين الإنسانية.

المراجع:

- (1) رجا شحادة / قانون المحتل - إسرائيل والضفة الغربية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان 1990.
- (2) مراد جاد الله / الإطار القانوني لمعاملة الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين لوائح مصلحة السجون في عين القانون الدولي، جريدة حق العودة العدد 52، بديل- المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، عبر الرابط: <https://www.badil.org/ar/publications/haq-al-awda/issues/items/2905.html>
- (3) رجا شحادة / قانون المحتل - إسرائيل والضفة الغربية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان 1990.
- (4) جهاز المحاكم في إسرائيل، مركز المعلومات الوطني الفلسطيني وفاء، عبر الرابط: https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=4889
- (5) إسرائيل: 50 عاما من انتهاكات الاحتلال، موقع هيومن رايتس ووتش (Human Rights Watch) عبر الرابط: <https://www.hrw.org/ar/news/2017/06/04/304507>
- (6) إسرائيل ترد على أسئلة خبراء لجنة حقوق الإنسان بشأن الاعتقال الإداري وقضايا حقوقية أخرى، موقع الأمم المتحدة / أخبار الأمم المتحدة، عبر الرابط: <https://news.un.org/ar/story/2022/03/1095462>
- (7) تصريح: تدعو وكالات الأمم المتحدة إلى الإفراج الفوري عن طفل فلسطيني يعاني من مرض خطير محتجز لدى إسرائيل، موقع منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسف)، عبر الرابط: <https://www.unicef.org/ar/>
- (8) رأفت خليل حمدونة / العزل الانفرادي في السجون الإسرائيلية انتهاك خطير للقانون الدولي الإنساني مركز الأسرى للدراسات، عبر الرابط: <https://alasra.ps/ar/index.php?act=post&id=18475>
- (9) الدكتور كمال قبعة / الوضع القانوني لأسرى المقاومة الفلسطينية، مركز الأبحاث الفلسطيني، منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث / شؤون فلسطينية العدد 252 عبر الرابط: <https://www.prc.ps>

- (10) اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة، موقع الأمم المتحدة، عبر الرابط:
<https://www.ohchr.org/ar/instruments-mechanisms/instruments/>
- (11) عزل الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين في سجون الاحتلال، مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان عبر الرابط:
<https://addameer.org/ar/content>
- (12) وفاة خضر عدنان تسلط الضوء على معاملة إسرائيل القاسية للأسرى الفلسطينيين، موقع منظمة العفو الدولية، عبر الرابط:
<https://www.amnesty.org/ar>
- (13) نظام الفصل العنصري (أبارتهايد) الإسرائيلي ضد الفلسطينيين، رقم الوثيقة: MDE 15/5141/2022، منظمة العفو الدولية 2022.
- (14) د. عصام عابدين / ورقة قانونية حول " مناهضة التعذيب في المواثيق الدولية والواقع الفلسطيني، مؤسسة الحق، رام الله، 2012
- (15) ميرفت صادق / التعذيب في أقيية التحقيق الإسرائيلية.. الصمود هو الحكاية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، عبر الرابط:
<https://www.palestine-studies.org/ar/node/1649691>
- (16) وثيقة سرية تم الكشف عنها تتيح تعذيب الأسرى، مركز المعلومات الوطني الفلسطيني وفاء، عبر الرابط:
https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=Y8EwJPa3776555904aY8EwJP
- (17) جيفري أرونسون / سياسة الأمر الواقع في الضفة الغربية - إسرائيل والفلسطينيون من حرب 1967 إلى الانتفاضة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت 1990
- (18) الاحتلال والقانون الدولي الإنساني: أسئلة وأجوبة، موقع اللجنة الدولية للصليب الأحمر، عبر الرابط:
<https://www.icrc.org/ar/doc/resources/documents/misc/634kfc.htm>
- (19) المرجع السابق
- (20) اتفاقيات جنيف 1949 وبروتوكولاتها الإضافية، موقع اللجنة الدولية للصليب الأحمر، عبر الرابط:
<https://www.icrc.org/ar/doc/war-and-law/treaties-customary-law/geneva-conventions/overview-geneva-conventions.htm>
- (21) آلان بيكر/ القانون الدولي الإنساني، اللجنة الدولية للصليب الأحمر ووضع إسرائيل في الأراضي التي تسيطر عليها، المجلة الدولية للصليب الأحمر، المجلد 94، العدد 888، شتاء 2012، عبر الرابط: <https://international-review.icrc.org/sites/default/files/irrc-888-baker-ara.pdf>
- (22) فيليسيا لانغر / تنفيذ اتفاقية جنيف الرابعة لضمان حماية الشعب الفلسطيني في الأراضي الفلسطينية المحتلة، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 11، صيف 1992، عبر الرابط: <https://www.palestine-studies.org/ar/node/35277>
- (23) أسرى الحرب والقانون الدولي الإنساني / الدراسات والأبحاث ، موقع المنظمة العربية للهلال الأحمر والصليب الأحمر، عبر الرابط:
<https://arabrcrc.org/acihl> ، تاريخ النشر: 2020/10/21، تاريخ الزيارة: 2023/11/05
- (24) ملخص تنفيذي لتقرير انتهاكات حقوق الأسرى والأسيرات في السجون الإسرائيلية خلال العام 2013، مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، عبر الرابط: <http://www.addameer.org/>

دور المحافظين الجدد في التأثير على سياسة جورج بوش الابن في خدمة الكيان الإسرائيلي

محمد فراس تقي الدين

ملخص

شكلت السياسة التي اتبعتها جورج بوش الابن لتغيير وجه الشرق الأوسط (خدمة للكيان الإسرائيلي) محط اهتمام الكثير من الباحثين، لتفنيد دوافعها، والأهداف المرجوة منها، والعوامل المؤثرة في توجيه تلك السياسة وأهمها تأثير المحافظين الجدد ابتدأت هذه الدراسة بالتعريف عن المحافظين الجدد وعن مشروعهم الإمبراطوري لإبراز قوة أمريكا، وفرض هيمنتها، وإجراء تغييرات جذرية على مستوى العالم، وعلى مستوى الشرق الأوسط بشكل خاص، بحكم كراهيتهم للعرب والمسلمين وولاءهم المطلق للكيان الإسرائيلي.

وتناول البحث تعريفاً عن حياة بوش الابن وعن رحلته إلى الالتزام الديني، وطبيعة العقيدة الصهيونية المسيحية التي يعتنقها، والتي يتشارك فيها مع المحافظين الجدد الأهداف ذاتها في خدمة مصلحة الكيان الإسرائيلي. كان دعم المحافظين الجدد لبوش الابن في انتخاباته، ووصوله إلى الرئاسة، وتبوؤهم لأهم المناصب الحساسة في إدارته، فرصة ذهبية لهم لينفذوا أجندتهم التي خططوا وروجوا لها من سنين طويلة، سارعوا إلى تنفيذها فور وقوع أحداث 11 أيلول (التي سبق وبشر بها أهم رموزهم) لتتالى الخطوات التنفيذية لخططهم بما شملته من غزو لأفغانستان، والعراق، وإطلاق مشروعهم الشرق الأوسط الجديد، والفوضى الخلاقة، التي مازالت دول المنطقة المعادية للكيان الإسرائيلي تعيش تداعياتها السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والتقسيمية.

الكلمات المفتاحية

المحافظون الجدد، الشرق الأوسط الجديد، الفوضى الخلاقة، الصهيونية المسيحية.

The role of neoconservatives in influencing George W. Bush's policy in the service of the Israeli entity

Summary

The policy pursued by George W. Bush, to change the structure of Middle East (in the Service of the Israeli entity) has been the focus of attention of many researchers, to analyze its motives, the desired goals, and the factors influencing the direction of that policy, the most important of which is the influence of the neo-conservatives.

This study began with an introduction to the neo-conservatives and their imperial project to highlight America's strength, impose its hegemony, and make radical changes in the world, and in the Middle East in particular, by virtue of their hatred of Arabs and Muslims and their absolute loyalty to Israel.

The research dealt with a definition of the life of George W. Bush, and his journey to religious commitment, and the nature of the Christian Zionist faith that he embraces, and in which he shares the same goals with the neoconservatives in serving the interests of Israel.

The support of the neoconservatives for George W. Bush, in his elections, his accession to the presidency, and their assumption of the most important sensitive positions in his administration was a golden opportunity for them to implement their agenda that they had planned and promoted for many years.

The neo-conservatives hastened to implement their agenda immediately after the events of September 11 (which their most prominent members had previously heralded), then the executive steps for their plans began, including the invasion of Afghanistan and Iraq, the launch of the two projects: the new Middle East, and the constructive chaos (that the countries of the region that are hostile to Israel are still experiencing political, economic, social, and divisive repercussions, until the date of writing this research).

Key words

The Neocons, The New Middle East, The Constructive Chaos, The Christian Zionism.

المقدمة

دأب المحافظون الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية على محاولة التأثير على السياسة الدفاعية والخارجية الأمريكية لإجراء تغييرات جذرية على مستوى العالم وعلى مستوى الشرق الأوسط بشكل خاص، بحكم كراهيتهم للعرب والمسلمين وولاءهم المطلق للكيان الإسرائيلي، وعداوتهم لكل من يرغب في تقوية قدراته، و يرفض التبعية لها من محيطها⁽¹⁾. تحدث تقرير لإعادة بناء الدفاعات الأمريكية أعده مشروع "pnac" التابع للمحافظين الجدد في عام 2000، عن ضرورة بقاء القواعد العسكرية في الخليج بغض النظرات بقي صدام حسين في السلطة أم لا⁽²⁾.

وفي سياق عرض التقرير لضرورة تقوية الدفاعات الأمريكية، لا يبرز قوة أمريكا، وبسط هيمنتها على العالم كله، يتم الوصول إلى نتيجة أنه من الصعب تنفيذ هذه الخطط وتأمين التمويل الضخم لها دون حدوث "بيرل هاربر" جديدة تدفع الشعب الأمريكي والمشرعين وتوحدهم لدعم وتمويل الخطط الدفاعية الواردة في التقرير⁽³⁾. وهذا ما حدث فعلاً في العام اللاحق 2001، حين ضربت الطائرات البرجين في نيويورك بعد فتره وجيزة من استلام بوش الابن الرئاسة وتعيين نائبه ديك تشيني وأقرانه من المحافظين الجدد في أهم المفاصل الحيوية في تلك الإدارة، حيث استفاقت أميركا على أحداث 11 أيلول وضرب البرجين والتي كانت من عيار "بيرل هاربر" جديدة والتي بشر بها مسبقاً المحافظون الجدد، من ثم تتالت ردة الفعل العنيفة لإدارة بوش الابن في الشرق الأوسط على الخصوص من غزو أفغانستان والعراق وإطلاق مشروع الشرق الأوسط الجديد والفوضى الخلاقة وكل ما نتج عن هذه السياسة من تداعيات سياسية وأمنية واقتصادية ابتليت فيها البلاد المحيطة والمعادية للكيان الإسرائيلي منذ استلام بوش الابن الرئاسة ومازلت تعاني منها حتى الآن.

مشكلة البحث :

عمد بوش الابن فور وقوع أحداث 11 أيلول إلى تطبيق سياسة واضحة اتجاه الشرق الأوسط، بهدف تغييره وإطلاق شرق أوسط جديد.

شملت تلك السياسة غزو أفغانستان والعراق، وإطلاق مشروع الفوضى الخلاقة الذي مازالت المنطقة تعيش تداعياته حتى الآن.

(1) بوعلام العباسي ، دور المحافظين الجدد في صناعة القرار الأمريكي، رسالة دكتوراه، جامعه الجزائر 3، 2012/2013، ص 1

(2) the project for the new American century, rebuilding America's defenses, september2000

http://resistir.info/livros/rebuilding_americas_defences.pdf,

visited in 14/4/2023

(3) David ray griffen, the new pearl-harbor, olive branch press, united states of America,2004, page 525

وتكمن الإشكالية كيف استطاعت مجموعة من المحافظين الجدد التأثير في سياسة بوش الابن اتجاه الشرق الأوسط؟

تساؤلات البحث

- 1) من هم المحافظون الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية؟
- 2) ما الأهداف التي يسعى المحافظون الجدد لتحقيقها في خدمة الكيان الإسرائيلي؟
- 3) من هو بوش الابن وما طبيعة العقيدة التي تجمعها بالمحافظين الجدد؟
- 4) ما مدى تأثيرهم على سياسته في خدمة الكيان الإسرائيلي؟

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في إعادة قراءة سياسة جورج بوش الابن في خدمة الكيان الإسرائيلي انطلاقاً من تأثرها بالأفكار التي يعتنقها المحافظون الجدد، والوقوف عند الأسباب الحقيقية وراء غزو أفغانستان والعراق وإطلاق مشروع الشرق الأوسط الجديد والفوضى الخلاقة. كما يسهم هذا البحث في زيادة وعي أفراد المجتمع العربي لما يخطط لهم.

أهداف البحث :

تحليل الأسباب الحقيقية وراء السياسة التي اتبعها بوش الابن في خدمة الكيان الإسرائيلي، بكل ما تمخض عنها من غزو لأفغانستان والعراق وإطلاق مشروع الشرق الأوسط الجديد والفوضى الخلاقة، وتحديد دور المحافظين الجدد في التأثير في تلك السياسة.

متغيرات البحث :

المتغير المستقل: المحافظون الجدد.

المتغير التابع: سياسة جورج بوش الابن.

الفرضيات :

يوجد تأثير للمحافظين الجدد على سياسة جورج بوش الابن في خدمة الكيان الإسرائيلي.

منهج البحث:

الوصفي والتحليلي

الدراسات السابقة:

- (1 بحث حسون، محمد، 2018) بعنوان دور تيار المحافظين الجدد في السياسة الخارجية الأمريكية (سوريا نموذجاً)، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، دمشق.

-أهداف البحث:

أ) المحافظون الجدد من النشأة إلى دوائر صنع القرار.

ب) مكانة المحافظين في المنظومة السياسية الأمريكية.

(ج) المشروع السياسي والفكري للمحافظين الجدد وعلاقته بالكيان الإسرائيلي.

(د) دور المحافظين الجدد في رسم السياسة الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط وسورية خاصة.

-أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

أن الممارسات الأمريكية كلها زمن إدارة بوش الابن، بفكر المحافظين الجدد وعقيدتهم قد هيأت البيئة المناسبة لتجسيد نظرية الفوضى الخلاقة في منطقة الشرق الأوسط، ودخول هذه المنطقة زمن الاضطرابات والفوضى العارمة التي قد تستمر مدة زمنية طويلة، مرهونة بمجمل التفاعلات الوطنية والإقليمية والدولية.

-علاقة تلك الدراسة بهذه الدراسة:

تتشارك الدراسة السابقة مع الدراسة الحالية في تحليل مدى تأثير المحافظون الجدد على سياسة بوش الابن في الشرق الأوسط.

(2) دراسة (الوافي، عبد الرحمن، 2016) بعنوان: الفوضى الخلاقة الأمريكية وارتباطها بنبوءات الكتاب المقدس، موقع المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية.

-أهداف بحثه: تسليط الضوء على العامل الديني، والنبوءات التوراتية التي يؤمن بها بوش الابن، في التأثير على السياسة الأمريكية في خدمة الكيان الإسرائيلي.

-أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

أن ما يعرف بنظرية الفوضى الخلاقة ترجع في الأصل إلى الكتاب المقدس ونبوءاته المؤكدة على قيام دولة الكيان الإسرائيلي على أنقاض الدول الأخرى، أو بمعنى آخر استراتيجية

لاهوتية قديمة من استراتيجيات "السيد رب الجنود"، وليست مجرد استراتيجية نبعت من البيت الأبيض أو البنتاغون أو وكالة المخابرات الأمريكية، ولهذا كان من الطبيعي أن تتضح استراتيجية الفوضى الخلاقة بجلاء في سياسة الولايات المتحدة الخارجية مع وصول الرئيس بوش الابن وتمكن اليمين المسيحي من بسط نفوذه في مراكز صنع القرار السياسي الأمريكي وتكييف النص التوراتي مع المعطيات السياسية بالشكل الذي يتوافق مع مصالحه وتصوراته العقائدية.

علاقة هذه الدراسة بالدراسة الحالية: إن دراسة الباحث للعقيدة الصهيونية المسيحية التي يتبناها بوش الابن تدعم بحثنا في تعريفه عن عقيدة بوش الابن، ومدى تلاقي أهدافها مع أهداف المحافظين الجدد، في جعل مصلحة الكيان الإسرائيلي فوق كل مصلحة.

المبحث الأول: المحافظون الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية وأهدافهم في خدمة الكيان الإسرائيلي

المطلب الأول: المحافظون الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية

المحافظون الجدد كما عرفهم الأب الروحي لهم إيرفينغ كريستول، وهو يهودي من أصل أوكراني

هم: ليبراليون صدمهم الواقع. فهم في فترة الستينات كانوا مستائين من اللين الذي تمارسه أمريكا مع الاتحاد السوفيتي وكانوا يدعون إلى استخدام الحزم والقوة لفرض هيبة أمريكا وسطوتها وأهميتها العالمية.

أما المقاربات الأخرى للتعريف عنهم فهم مجموعة من الشباب اليهودي المتأثر بفكر منظرهم الأساسي الفيلسوف اليهودي الألماني "ليوشتراوس" والذي كان قد التحق بالحركة الصهيونية بعمر لا يتجاوز ١٧ سنة وكان قد طرح مفهوم سماه (الكذبة النبيلة) هذه الفكرة التي أضحت عقيدة المحافظون الجدد فيما بعد والتي فحواها أن نخبة قليلة فقط هي المؤهلة فكريا

لمعرفة الحقيقة وهو الأسلوب الذي استعملوه في الإشهار للحرب على العراق باتهامه زورا بملكيتة لأسلحة الدمار الشامل وقد كتب كثير من المثقفين الغربيين عن ارتباط فكر المحافظين الجدد بالفلسفة الصهيونية ومثال ذلك الكتاب الذي ألفه الصحفيين الفرنسيين ألان فراشون Alain frachon ودانييل فيرني Daniel vernet بعنوان "أمريكا المؤمنة بعودة المنقذ" سنة ٢٠٠٤ وكتاب الباحث الأميركي جيمس مان James man الذي ألفه عام ٢٠٠٤ بعنوان "ارتفاع البراكين" الذي كتبه عن نائب وزير الدفاع الأميركي بول وولفويتز أحد صقور المحافظين الجدد في إدارة الرئيس الأسبق جورج بوش الأب، كما كتبت المفكرة الأمريكية ماري فريد مان Murry fridman عن الجذور الفكرية اليهودية للمحافظين الجدد⁽¹⁾.

وقد اجتمعت مجموعة من شبابهم المثقفين في الستينات في جامعة نيويورك وكانوا أشبه بعشيرة مغلقة لهم الكثير من العادات والمشتراكات بينهم واستقادوا من التوجه الجديد الذي انتهجه الرئيس كندي حينذاك بالاستعانة بنخبة من أساتذة الجامعات المرموقة لمشاركتهم في السياسة العامة وأطلق عليهم آنذاك اسم النخبة الفضلى والأكثر ذكاء⁽²⁾.

بداية تحزب المحافظون الجدد كانت مع اليسار الديمقراطي وبعد حقنهم الشديد على الاتحاد السوفيتي لاضطهاد اليهود على أراضيهم انتقلوا للحزب الجمهوري وحملوا راية ضرورة التصعيد واستخدام القوة، وعدم اللين مع الاتحاد السوفيتي وعدم الدخول معه في أي اتفاقات لتخفيض الأسلحة تفقد الولايات المتحدة قوتها على الصعيد العالمي.

ومن أبرز ما يميز المشهد الأميركي في القرن الواحد والعشرين تحالف فكر أولئك المحافظين في (مثلث الرعب) مع الجمهوريين ومع اليمين المتطرف⁽³⁾ (أو ما يسمى اليمين المتصهين) و تعاونهم جميعاً لدعم الكيان الإسرائيلي ومعاداة من يقف في وجه هيمنته ، وتوسيع نفوذه من جواره، ومن أبرز رموزهم:

1- إيرفينغ كريستول: يهودي من أصل أوكراني يسمى الأب الروحي للمحافظين الجدد أو عراب حركة المحافظين الجدد عمل مدير التحرير مجلة "كومنتري" في عام ١٩٤٧ إلى عام ١٩٥٢ أسس عدة مطبوعات للمحافظين الجدد وترأس تحريرها مثل مجلة "بابلتيك انترست"

و"ناشيونال انترست" وله عدة مؤلفات منها كتابه "المحافظة الجديدة: سيرة ذاتية لفكرة" وهو متزوج من

2- غيرتروود هيملغارب: إحدى أعمدة المحافظين الجدد⁽⁴⁾.

3- وليام كريستول: ابن "إيرفينغ كريستول" و"غيرتروود هيملغارب"، رئيس تحرير مجلة "ويكلي استاندرد" التي يملكها اليهودي "روبرت مردوخ"، و"وليام كريستول" هو مؤسس المركز الفكري المعروف باسم معهد مشروع القرن الأميركي الجديد (PNAC) وهو شخصيه لها وزنها في أوساط المحافظين الجدد ويطلق عليه البعض اسم ولي عهد هذه الحركة.

4 - بول ولفويتز: هو نائب وزير الدفاع الأميركي دونالد رامسفيلد وقد استطاع أن يفرض نفسه على رامسفيلد وعلى نائب الرئيس ديك تشيني وتمكن من إيهام الشعب الأميركي بأن العراق يمتلك أسلحة دمار شامل وعلى علاقة بتنظيم القاعدة.

(1) د. محمد حسون ، دور تيار المحافظين الجدد في السياسة الخارجية الأمريكية (سوريا نموذجا)، مجله جامعه دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مجلد 34 عدد 1، 2018، ص 320،

(2) المرجع السابق، ص 321

(3) المرجع السابق، ص 319

(4) بوعلام العباسي، مرجع سابق، ص 37

ومن المعروف أن ولفويتز أقام في الكيان الإسرائيلي عندما كان مراهقاً حيث أمضى والده إجازة تفرغه العلمي في جامعات الكيان، كما أن له أختاً متزوجة من إسرائيلي وقد زادت هذه الروابط كلها من تعلقه بالدولة العبرية⁽¹⁾.

5- ريتشارد بيرل:

يعد من أبرز النشطاء الداعمين للقضايا والمصالح الإسرائيلية منذ السبعينات عندما كان يعمل ضمن طاقم السيناتور هنري جاكسون وعندما تسلم بوش الابن الحكم عهد إلى بيرل رئاسة مجلس سياسة الدفاع ومن هذا المنصب استطاع أن يرشح عدد من رفاقه القدامى لمناصب مهمة داخل الحكومة وبدأ إشعال نار الحرب على العراق، ويتأسس بيرل شركة. "هولنبرغ ديجيتال" المالكة لصحف "الديلي تلغراف" البريطانية و"شيكاغو تايمز" الأمريكية و"جيرزاليم بوست الإسرائيلية" وهو القائل أن العراق بالنسبة لنا هدف تكتيكي والسعودية هدف استراتيجي ومصر هي الجائزة الكبرى كما أنه عضو في المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي ويلقب بأمرير الظلام وهو من عتاد اليهود الصهاينة ومعروف بمواقفه المعادية للعرب والمسلمين⁽²⁾.

6- دوغلاس فيث:

عمل خبيراً في مجلس الأمن القومي حول موضوع الشرق الأوسط في عهد ريغن، وأصبح نائباً لبول ولفويتز نائب وزير الدفاع في عهد بوش الابن، تعاون مع ريتشارد بيرل لاختيار أعضاء مجلس سياسة الدفاع وكان حريصاً على اختيار العناصر المتشعبة بالصهيونية، انتقد فيث عملية السلام التي أطلقها جيمس كارتر ورفض معاهدات كام ديفيد وكان ضد عملية السلام الشامل وكان مكتب الاستشارات الذي أسسه فيث مقتصرًا على تمثيل الشركات والمصالح الإسرائيلية، كان عضواً في مجلس مستشاري المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي⁽³⁾، وقد منحت المنظمة الصهيونية في أمريكا وسام بصفته ناشطاً لصالح الكيان الإسرائيلي.

المطلب الثاني: الأهداف التي يتبناها المحافظون الجدد في خدمة الكيان الإسرائيلي

لتحديد الأهداف التي يتبناها المحافظون الجدد في خدمة الكيان الإسرائيلي من المهم دراسة كل من المرتكزات التالية:

أولاً- الخطة الاستراتيجية الجديدة لحماية المملكة بعنوان "A clean break"

قدمت هذه الخطة عام 1996 من قبل مجموعة من المحافظين الجدد برئاسة ريتشارد بيرل الذي كان آنذاك كبيراً للباحثين في معهد "أمريكان انتربرايز" للسياسات العامة في واشنطن وعضويه دوغلاس فيث وكيل وزارة الدفاع الأمريكية لاحقاً في إدارة بوش الابن و"ديفيد وورمر" من معهد الدراسات الاستراتيجية والسياسية المتقدمة وآخرين من أنصار الكيان الإسرائيلي.

تدعو تلك الخطة ننتيا هو إلى التخلي عن اتفاقات أوسلو، والتحول من مبدأ الأرض مقابل السلام إلى السلام مقابل السلام المستند إلى توازن القوى واعتماد علاقة استراتيجية جديدة مع الولايات المتحدة تستند إلى الفلسفة التي تجمعها معاً وهي فلسفه السلام من خلال القوة، وإعادة تشكيل الوضع في المنطقة بما يخدم أمن الكيان الإسرائيلي وجاء في تلك الخطة أن بوسع الكيان الإسرائيلي أن تعيد تشكيل البيئة الاستراتيجية المحيطة بها من خلال التعاون مع الأردن وتركيا

(1) بوعلام العباسي، مرجع سابق، ص 38

(2) المرجع السابق ص 39

(3) بوعلام العباسي، مرجع سابق، ص 39

وإضعاف سوريا واسقاط نظام صدام حسين في العراق⁽¹⁾.

ثانياً: مفهوم الشرق الأوسط الجديد من منظور ثلاثة من عتاة وأهم رموز المحافظين الجدد وهم

دونالد رامسفيلد وبول ولفويتز وريتشارد بيرل

يتجلى ذلك المفهوم لديهم في سياق ما وثقته محاضر اجتماعات مجلس الأمن القومي الأمريكي في بداية عهد بوش الابن في أواخر كانون الثاني وأوائل شباط 2001 حيث دارت نقاشات حول أولويات الإدارة الجديدة لتحقيق مشروعها الإمبراطوري وانقسمت الآراء كالتالي:

رأي وزير وزير الخارجية كولن باول الذي يرى أن مكافحه الإرهاب هي الأولوية لأنها القادرة وقبل غيرها على اجتذاب أوروبا وآسيا والصين ومن خلاله تكسب الولايات المتحدة أوروبا وتصل إلى تسوية للصراع العربي للكيان الإسرائيلي⁽²⁾. رأي نائب الرئيس ديك تشيني وهو أيضاً من أهم رموز المحافظون الجدد أنه لا يصلح هدر الوقت كما فعل بيل كلينتون في مشكله الشرق الأوسط دبلوماسياً وإنما يدخل إليها من خلال قضية مقاومه الإرهاب وليس عن طريق قضية فلسطين لأن الأصدقاء العرب لا تهتمهم فلسطين بقدر ما يهمهم حماية نظمهم وهم ينسبون إلى الإرهاب وحده أسباب قلقهم كله وأن الولايات المتحدة تستطيع أن تنفذ من خلال هذا القلق إلى مواقع البترول مباشرة دون تضييع الوقت في الصراع العربي للكيان الإسرائيلي.

رأي وزير الدفاع دونالد رامسفيلد ومساعد بول ولفويتز ومدير التخطيط الاستراتيجي في وزارته ريتشارد بيرل الذين طرحوا لأول مرة موضوع العراق كوسيلة لتحقيق أهداف الإمبراطورية الأمريكية وهي أن الوقت مناسب لتوجيه ضربه مباشرة للعراق كمدخل لسيطرة كامله على البترول وإن تصفية الحساب مع العراق يفتح مداخل إلى تسوية الحسابات القديمة مع إيران مما يمهّد لخروج شرق أوسط جديد تحت قوة النيران الأمريكية في منطقته لا تفهم غير لغة الخوف رغم استغراقها في الكلام عن السلام⁽³⁾.

ثالثاً-نظريه الفوضى الخلاقة، والتي تقوم على ان المجتمع عندما يتم تفكيكه وانهاره حينها يسهل إعادته بنائه واعطاءه هويته جديده على مزاج المتنفذ وإن أهم من ارتبط اسمهم بنظريه الفوضى الخلاقة وهو أحد اقطاب المحافظين الجدد مايكل ليدين إلا أن هذا الارتباط جاء من خلال مصطلح التدمير البناء وهو مصطلح مرادف لمصطلح الفوضى الخلاقة أو بالأحرى مسمى آخر لها، حيث قام ليدين في عام ٢٠٠٣ بإعداد مشروع "التغيير الكامل في الشرق الأوسط" المقرر تنفيذه خلال العشر سنوات اللاحقة من تاريخ صدور المشروع والذي نص على إجراء تغييرات سياسيه واقتصادية واجتماعيه في كافه أنحاء المنطقة وفقاً لاستراتيجية جديده تقوم على أساس الهدم و ثم إعادة البناء حيث يرى البعض أن أول تعاطي رسمي لهذا المصطلح جاء في عام 2003 من قبل وزير الدفاع دونالد رامسفيلد الذي علق على أحداث الشغب والفوضى التي شهدتها

(1) كادر الخدمة ، هيئة المحافظين الجدد، الخدمة الإعلامية الإلكترونية لهيئة الإذاعة السوسرية،

<https://www.swissinfo.ch/ara/3307084-هيئة-المحافظين-الجدد-/->

تم التصفح في، 2023/4/13

(2) محمد حسنين هيكل، الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق، الطبعة الأولى، الشركة المصرية للنشر العربي و الدولي، القاهرة، 2003 ص 181

(3) المرجع السابق، ص 182

العراق بقوله أن العراقيين ليسوا معتادين على الحرية وأن هذه أول فرصة لهم للتعبير عما يختلج في أنفسهم وأن هذه العمليات الفوضوية إيجابية وخلاقة وواعدة بعراق جديد⁽¹⁾.

المبحث الثاني: جورج بوش الابن وتأثير سياسته بالمحافظين الجدد

المطلب الأول: جورج بوش الابن وعلاقته بالمحافظين الجدد

نتناول في هذا المطلب نبذة مفصلة عن طبيعة حياة جورج بوش الابن ورحلته إلى التزام الديني بمعتقدات الصهيونية المسيحية، ونعرج على تنفيذ تلك المعتقدات وكيف تتلاقى أهدافها مع أهداف المحافظين الجدد بأن مصلحة الكيان الإسرائيلي هي قبل كل مصلحة، والعداء المطلق للعرب والمسلمين.

قبل ترشيح بوش الابن، لم يكن أحد يعتقد بأنه يصلح لذلك المنصب، لأن أوجه القصور في شخصيته وثقافته وجاذبية حضوره تستبعده من أول نظره. ومن المفارقات أن الأم (بربارة بوش) كانت أول من يسلم بعدم صلاحية ابنها لدور "قيصر" بل لا تصدق أن ابنها ذاته (جورج بوش (ابن) - الرئيس الحالي للولايات المتحدة) اعترف عندما روى قصة حياته (ونشرتها الصحف العالمية الكبرى وضمنها الصنادي تايمس) وقدم بنفسه جانباً من الأسباب التي جعلت الأقربين يشكون في صلاحيته لأي مسؤوليه على مستوى رفيع، وظل في عرقهم "دوبيا" وليس "جورج"⁽²⁾.

وكانت والدته هي أول من أطلق عليه هذا الوصف، مستندة إلى الاسم الثاني له وهو "ويليام" وحرفه الأول (W) وذلك لتمييزه عن والده "جورج" الذي أختار لابنه الأكبر نفس اسمه، وكان الحرف الأول من الاسم الثاني للابن وهو (W) الذي جرى تدليله بـ "دوبيا" وهو الذي شاع في الإشارة إليه وليس "جورج" حتى لا تلتبس الإشارات، وكان بوش الابن هو الذي أمعن في الاعتراف بقصوره، قاصداً أن يكون الاعتراف كاملاً (حتى يتحقق الغفران)، فقد روى أنه ظل حتى تجاوز الخامسة والثلاثين من عمره شاباً لاهياً-عابثاً-كسولاً-عازفاً عن العلم، خصوصاً بعد أن حصل بالكاد على شهادة من الجامعة "تكساس" ألحق بها أجازته من الجامعة "ييل" (يكاد يلمح إلى أن نفوذ أسرته أتاحها له بأكثر من اجتهداده في طلب العلم!).

واعترف بوش الابن بعدها بأن ثروة العائلة وحياته بين تكساس (حيث مصالح الأسرة) وبين واشنطن (التي قصد إليها والده بحثاً عن فرصه سياسية تحققت له) أخذت منه الاستقرار العائلي وتركت له فراغاً عاش فيه حياة غير مسئولة وصلت به إلى حد الإدمان الشديد على شرب الخمر نهائياً وليلاً، كان ذلك يضايق زوجته "لورا" ويسبب لها حرجاً شديداً داخل بيت الزوجية وخارجها، فلم يكن يمر أسبوع إلا ودوريه بوليس تستوقفه وتسحب رخصه قيادته، لأنه يقود سيارته مسرعاً أو مخموراً.

ووصل الحال ببعض التوادي في تكساس إلى حد منعه من دخولها، لأنه كل مره يدخلها يثير "خناقة" لا داعي لها أشهرها أنه قام في إحدى المرات بتوجيه لكمات متوالية لزوج الصحفية الشهيرة "جودي وودروف" وهي من نجوم وكالة (C.N.N)

(1) عبد الرحمن الوافي، الفوضى الخلاقة الأمريكية وارتباطها بنبوءات الكتاب المقدس، موقع المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، 23 يونيو 2016

<https://democraticac.de/?p=32938>

تم التصفح في 2023/4/11

(2) محمد حسنين هيكل، مرجع سابق، ص 166

وزوجها نفسه مسؤول كبير في إحدى المؤسسات الصحفية الكبرى في تكساس) وكان دافع "دوبيا" إلى التهور أن أحد صحف تلك المؤسسة أساء إلى عائلته بسلسلة تحقيقات عن مصادر ثروتها⁽¹⁾.

وأخيرا وصل جورج بوش الابن في اعترافاته إلى وقائع ذلك اليوم الذي ولد فيه من جديد -متحولاً من شاب لاه، عابث، سكير إلى مؤمن شديد الإيمان بعقيدته، وتقي شديد الولاء لكنيستته، ونادم على الذنب مستعصم بالتوبة، وهنا يصف جورج بوش الابن لحظه ولادته من جديد فيقول: ليلتها شربت كما لم أشرب من قبل، وفقدت وعي، وحملوني إلى غرفه نومي لا أشعر بشيء حتى ظهر اليوم التالي، استيقظت على صداد مروع، وذهبت إلى الحمام مترنحاً لا أقوى على المشي، ورأيت صورتني في المرآة واحسست بما يشبه نزول صاعقة.

اكتشفت أمام المرآة أنهم عندما حملوني إلى غرفه نومي وارتيمت على السرير في ملابسني التي كنت ارتديها، وكانت شديده القذارة لأنني كما أدركت، افرغت كل ما في جوفي على السرير وعلى ملابسني قبل أن تخدم حواسي وتغيب، تحسست وجهي بيدي أمام المرآة، إذا بيدي متسخة ببقايا القيء التي لطخت وجهي وجفت أثناء نومي، أصابني منظرها في المرآة أمامي بقشعريرة هزت كياني، أعدت النظر إلى صورتني، وجددتني اسأل المرآة قائلاً: (دوبيا - دوبيا - ماذا فعلت في نفسك!؟) ورحت اصرخ أمام المرآة اعاهد الله ونفسي أن ذلك لن يتكرر بعد الآن ولم تصدقني "لورا" (زوجته) بادئ الأمر، وطننته تأثير لحظه المرآة وانني بعد أيام عائد إلى ما اتفقت عليه، كذلك ايضاً قالت والدتي، لكني أثبت لجميع أنها توبة بلا عودة، وولادة جديده لنفسي ولأسرتي ولروح السيد المسيح في قلبي.

ومن وقتها حاول "دوبيا" ان يتخذ طريق الجد، وبدايته تجربه حظوظه كمرشح لحكم ولاية تكساس لأنها المحيط المباشر لنفوذ الأسرة وكانت مفاجأة الجميع أنه فاز⁽²⁾.

وأغلب الظن أنه عندما بانّت علامات الهداية وبشرى الولادة من البداية، فإن الكثيرين لم يأخذوا "دوبيا" في حسابهم وهم يبحثون عن "قيصر" لكنه مع مرور الوقت بدأ بعض أصحاب المشروع الإمبراطوري يسألون أنفسهم ولم لا؟ لابد لنا في هذا المطلب ان نعرض على طبيعة العقيدة المسيحية الأصولية التي التزم بها بوش الابن من نشأتها إلى نبوءاتها وأهدافها، إلى توصيف أعدائها، إلى مكانه بوش الابن فيها، إلى بعض ما كتبتة الصحفية "غريس هالسل" عنها، إلى تحالفاتها مع المحافظين الجدد وكل من يخدم مصلحه الكيان الإسرائيلي.

أولاً- النشأة والاهداف وتوصيف الاعداء

جاءت حركه الإصلاح الديني البروتستانت بنظره جديده اتجاه اليهود أثرت ايجابيا على ماضيهم ومستقبلهم، فالتفسير الحرفي لنصوص الكتاب المقدس واعتماد تعاليم التوراة كجزء أساسي منه شكل وعي وثقافة المهاجرين الأوائل إلى الولايات المتحدة وانعكس على عميق إيمانهم بتحقيق نبوءات وعلى رأسها عوده اليهود إلى أرض الميعاد وبناء الهيكل انتظاراً للعودة الثانية للمسيح والانتصار على قوى الشر في معركة هرمجدون الفاصلة بين الخير والشر لتعيش بعدها البشرية ألف سنه من الخير، وبذلك تكون الصهيونية المسيحية سبقت ظهور الصهيونية اليهودية ب ٣٠٠ عام⁽³⁾.

(1) محمد حسنين هيكل ، مرجع سابق، ص167

(2) محمد حسنين هيكل، مرجع سابق، ص168

3 يوسف العاصي الطويل، البعد الديني لعلاقة أمريكا باليهود وإسرائيل وأثره على القضية الفلسطينية خلال الفترة (1948_2009)، الطبعة الأولى، مكتبة حسن المصرية، بيروت، 2014م، ص9

ثانياً- قوى الشر عندهم ممثلة بـ :

(١) **العرب والمسلمين**: وشواهد كثيرة، نقتبس في بحثنا مما ذكره بوش (الجد الأكبر). لبوش الابن في كتابه حياه محمد سنه ١٨٣٠ (يعتبر من أقذر ما كتبه الأمريكان عن العرب والمسلمين) :إذا لم يتم تدمير امبراطوريه "السارزان" فلن يتم تمجيد الرب بعوده اليهود إلى وطن آباءهم وأجدادهم .والمقصود بالسارزان، العرب والمسلمين حسب ادبيات الحروب الصليبية في القرون الوسطى، وهو مصطلح كان الرومان يطلقونه على العبيد تحقيراً لهم¹.

(2) **الكاثوليك والبابا** :من أبرز من يعبر بشكل واضح عن هذا العداء للكاثوليك جامعته القس بوب جونز والتي تربط بوش الابن علاقات حميمة بها رؤساءها يرون البابا بانه عدو المسيح، ويرون الدول الأوروبية الكاثوليكية من قوى الشر التي ستحارب أمريكا في المستقبل ويسمون دولها العشر بالوحش، الذي ورد ذكره في نبوءات التوراة، وكما يقول بوب جونز : أفضل ان أرى خانه في كل ناصيه على ان أرى كاثوليكيا في البيت الأبيض، بل أفضل ان أرى زنجيا كرئيس عن ان أرى رئيساً كاثوليكياً².

ثالثاً: مكانه بوش الابن في الصهيونية المسيحية وقناعته ان الله اختاره لمهمه مقدسه

يعتبر بوش الابن ان هدايته تمت على يد معلمه بيلى غراهام الذي أقنعه بالانضمام إلى طائفه الميثودية(المنهاجية)، المعبرة عن التحالف المسيحي الصهيوني، وتدرج بوش فيها حتى وصل إلى مرتبه عالية يطلق عليها (المعلم) وهي درجه متقدمة تعني انه قد ألم بتعاليمها بشكل كامل، بدء بالتطبيق ومن ثم الدعوة لتعاليمها.

اعتقد بوش في البداية أن الله يريد منه التفرغ للعبادة والدعوة للمذهب الديني الصحيح في العالم ولكن بعد عده حوارات اقتنع بأهمية السياسة لنشر الدين³. وقبل الانتخابات الرئاسية وفي ٢٠٠١، كشفت صحيفة واشنطن عن تطور غير عادي وهو "استقالة روبرتسون كرئيس للائتلاف المسيحي وأكدت. صعود زعيم جديد لليمين الديني في أمريكا هو جورج بوش الابن⁴. وذكر الكاتب "جاكسون ليرز" أن بوش الابن يرى رئاسته جزء من خطه مقدسه حتى انه قال لصديق له عندما كان حاكماً لنكساس: إن الله يريد ان يترشح للرئاسة. وأوعز للولايات المتحدة بأن تقود حملته صليبيه تحريريه في الشرق الأوسط⁵.

رابعاً- بعض الاعمال التي تعتبر سابقه في تاريخ الولايات المتحدة

-في عهد بوش الابن أصبح تمويل التعليم الديني من الموازنة الحكومية وهذه سابقه لم تحدث من قبل⁶ كما أعلن بوش الابن الحرب بعد ضرب البرجين في ١٣ ايلول ٢٠٠١ ليس من مقر حكومي بل من داخل كاتدرائية وهذه سابقه في تاريخ الولايات المتحدة⁷.

خامساً- بعض ملاحظات الكاتبة غريس هالسل عن الأصوليين المسيحيين في أمريكا

1 - مستعدين تقبل النقد لأي دولة كانت إلا إسرائيل فانتقادها يساوي عندهم نقد الرب ذاته.

1 يوسف العاصي الطويل، مرجع سابق، ص 293

2 المرجع السابق، ص 286

3 يوسف العاصي الطويل، مرجع سابق، ص 278

4 المرجع السابق، ص 284

5 المرجع السابق، ص 285

6 المرجع السابق، ص 283

7 المرجع السابق، ص 297

- 2 - اليهود في نظر بعضهم أقرب إليهم من المسيحيين الآخرين، بمن فيهم المسيحيين الفلسطينيين.
- 3 - بعضهم مستعد لتجاوز الخطوط الحمراء في خدمة الاهداف اليهودية، أكثر من اليهود أنفسهم كما دلت عليه حادثه اعتقال الشرطة الإسرائيلية مجموعه من الأمريكيين كانوا يخططون لنسف المسجد الأقصى عام ١٩٩٩¹.
- سادساً -تحالف المسيحيين الصهيونيين مع المحافظين الجدد**

بعد ما استعرضناه في هذا المطلب عن نشأة الصهيونية المسيحية قبل مؤتمر بازل بـ ٣٠٠ عام وعن أهدافها التي تجعل مصلحة الكيان الإسرائيلي فوق كل مصلحة وعن مدى إيمان وتشرب مرشحهم للرئاسة بوش الابن بهذه الأفكار فانه من الطبيعي أن يجد المحافظون الجدد في رئاسة بوش الابن فرصة ذهبية لا تتكرر، يحققوا من خلاله كل ما حلموا وخططوا له من سنين لخدمة الكيان الإسرائيلي.

المطلب الثاني: تأثير المحافظين الجدد على سياسة بوش الابن في خدمة الكيان الإسرائيلي

لاحقاً لما تناولناه في المطلب الأول من هذا البحث عن مدى إيمان وتشرب بوش الابن لأفكار الصهيونية المسيحية، وتبنيه لأهدافها، والتي تجعل مصلحة الكيان الإسرائيلي فوق كل مصلحة، فإن الاستراتيجيات والتكتيكات العملية للوصول إلى تلك النتائج كانت الهم الشاغل للمحافظين الجدد، بمحطات تحضيرية سبقت رئاسة بوش الابن، إلى دعمهم له للفوز بالانتخابات وتبؤهم لأهم المناصب الحساسة في إدارته فور استلامه الرئاسة، إلى وقوع حادثة 11 أيلول بحجم "بيرل هاربور"، إلى المباشرة بالتأثير على ردة الفعل العنيفة والسريعة لبوش الابن في سياسته تجاه الشرق الأوسط، حيث يتمركز جوهر اهتمامهم وهو الكيان الإسرائيلي. وفي سياق تحليلنا بأن كل ما أقدم عليه بوش الابن من سياسة اتجاه الشرق الأوسط كانت بتأثير وتخطيط مبيت ومسبق من المحافظين الجدد، لخدمة الكيان الإسرائيلي وتدمير أعداءه نستعرض الشواهد والأحداث التالية:

أولاً- دليل التخطيط الدفاعي

إن مخطط الحرب على العراق هي توصية قوية من "بول ولفويتز" أعاد صياغتها من جديد في عام 1992 في مشروع متكامل وشامل، بتكليف من "ديك تشيني"، وزير الدفاع آنذاك في عهد رئيس بوش الأب، في إطار ما سمي بـ "دليل التخطيط الدفاعي للبنتاغون" ثم جرت عليه تعديلات عدة، غير أن جوهره ظل هو نفسه².

ثانياً - فاكس إلى كلينتون للحض على ضرب العراق

أرسلت 18 شخصية من مشروع قرن أميركي جديد، "pnac" و هو من أهم مراكز المحافظين الجدد، فاكس إلى كلينتون في عام ١٩٩٨ يحضوه فيها على إزالة صدام حسين من السلطة³. وهذا ما دفع كلينتون للتوقيع على قانون تحرير العراق الذي أقره الكونغرس وخصص مبلغ 100 مليون دولار لوزارة الخارجية لكي تستخدمهم لإنهاء نظام صدام حسين،

1 المرجع السابق، ص 287

2 د محمد حصون، مرجع سابق، ص 332

2Collection finding aid, pnac,26 January 1998,2015_0653_F Clinton digital library

<https://clinton.presidentiallibraries.us/items/show/4879>

Visited in 24/4/2023

ثالثاً-ضرب الرجين في 11 ايلول

حدث كبير من حجم "بيرل هاربر" سبق وبشر به المحافظون الجدد في تقرير إعادة بناء الدفاعات الأمريكية عام 2000 قبل عام من حدوثه. ذلك التقرير الذي استفاض في توصيف آلية تقوية الدفاع الأمريكي لإبراز أمريكا كقوة خارقة تبسط هيمنتها على العالم كله، يتم الوصول منه إلى نتيجة أنه من الصعب تنفيذ الخطط المذكورة وتأمين التمويل الضخم لها دون حدوث "بيرل هاربر" جديده تدفع الشعب الأمريكي والمشرعين وتوحد لهم لدعم وتمويل الخطط الدفاعية الواردة في التقرير¹.

رابعاً-رامسفيلد بعد أيام من 11 أيلول (خطة ضرب العراق جاهزة)

بعد أربعة أيام فقط من أحداث 11 ايلول، اي في اجتماع مجلس الأمن القومي يوم 15 أيلول كان هناك طرح للسؤال: (هل حربنا ضد القاعدة ام ضد الإرهاب عموماً؟)، وبدا وزير الدفاع رامسفيلد الإجابة' بالقول " لا نستطيع أن نقيم تحالفاً مستمراً لمجرد ضرب القاعدة أنه محدود ويمكن أن يتلاشى" وأكد نائب الرئيس تشيني هذا الرأي بشكل واضح حين قال "إن الجماعات الإرهابية مجرد (اشباح) وسننجم أكثر في العمل ضد (جسد) بمعنى أن نركز على الدول التي ترعى الإرهاب" وكأنه كان يمهّد لما طرحه بعد ذلك رامسفيلد وبشكل مفاجئ حين قال: أليس من الضروري أن نضرب العراق أيضاً وليس القاعدة فقط؟

العراق يمكن أن "يكون هدفاً مجسداً لأماننا وقابلاً للضرب على أساس انه من رعاة الإرهاب "صدام حسين ليس شبحاً وإنما بلد، ونقل رامسفيلد رأي مجموعة البنتاغون العاملة معه من أن صدام حسين هو خطر شديد لأنه مصمم على حيازة أسلحة الدمار الشامل يمكن أن تصل إلى الجماعات الإرهابية وعليها فان ضرب العراق يمكن أن يبدأ بسرعه الخطط لدينا جاهزة". ولاحظ باول أن خطط "ضرب أفغانستان لم تكن جاهزة وإنما طرح رامسفيلد في الاجتماعات السابقة مجموعة أسئلة لإعداد خطة لضرب أفغانستان بينما خطة ضرب العراق جاهزة"².

خامساً-أيام معدودة بعد 11 أيلول، رسالة تحض بوش على تشميل إجراءات الحرب (العراق، سوريا، لبنان، السلطة الفلسطينية)

أصدر معهد "مشروع القرن الأمريكي الجديد"، عدداً من الرسائل الموجهة إلى الرئيس "بوش الابن"، ففي 20 ايلول 2001، أصدر المعهد رسالة مفتوحة موجهة إلى الرئيس بوش تحضه على توسيع الحرب على الإرهاب أبعد من أفغانستان لتشمل إزالة صدام حسين وقطع العلاقات مع السلطة الفلسطينية والاستعداد لاتخاذ إجراءات ضد سورية ولبنان وحزب الله في لبنان، وحملت الرسالة توقيعات واحد وأربعين مسؤولاً من بينهم ريتشارد بيرل وفرانك غافيني وفرانسيس فوكو ياما. وأوضح رئيس وزراء الكيان الإسرائيلي الأسبق شارون ومساعدوه، لإدارة بوش، منذ البداية، أنهم ينظرون إلى سورية بوصفها تهديداً خطراً للولايات المتحدة الأمريكية، كما للكيان الإسرائيلي. وهذا يشير إلى أن سورية كانت مستهدفة في الأصل، فلم يمض أسبوع على غزو العراق، حتى راح وزير الدفاع الأمريكي، دونالد رامسفيلد، ووزير الخارجية، كولن باول، يطلقان تهديدات علنية ضدها. وقام دوغلاس فيث، مساعد وزير الدفاع للشؤون السياسية، برسم خطط طوارئ لتوسيع الهجوم على العراق ليشمل سورية، بموافقة رامسفيلد، وبتحريض من ولفويتز.

1David ray griffen, the new pearl-harbor, olive branch press, united states of America,2004, page 525

2 محمد حسين هيكال، مرجع سابق، ص 222-223

وما أن سقطت بغداد في منتصف أبريل من عام 2003، حتى بدأ شارون وجنرالاته يحثون واشنطن على استهداف دمشق وعلى استخدام قوتهم التي لا مثيل لها لتغيير سلوك النظام، أو ربما النظام نفسه. ولولا سوء الأوضاع في العراق، لربما واصل الجيش الأمريكي زحفه على سورية وقتذاك.

كانت الولايات المتحدة تستفز سورية تكراراً ومراراً، فكانت تطلب إليها غلق مكاتب ممثلي فصائل المقاومة الفلسطينية، وإيقاف دعمها لحزب الله اللبناني، وسحب قواتها من لبنان، وتدمير أسلحتها المزعومة للدمار الشامل، والتوقف عن استغلال تحالفها مع إيران، وغلق حدودها مع العراق، كما قامت بقصف مواقع مدنية وقتل أبرياء في هذا البلد تحت غطاء مكافحة الإرهاب¹.

سادساً- هاجس اللوبيات المختلفة في ضرب العراق

كانت حقيقة ضرب أفغانستان والعراق معروفه منذ البداية، لقد كان الغرض ربط منطقته الشرق الأوسط بمنطقه آسيا الوسطى لتكون كلتاهما تحت الهيمنة الأمريكية، وكان النفط هاجس اللوبي النفطي، وكانت هاتان الحريان هاجس التجمع الصناعي العسكري الذي نشطت مصانعه الحربية بفعلها، وكانت فكره تحطيم العراق هاجس المحافظين الجدد واليمين المسيحي الصهيوني، من أجل الحفاظ على أمن الكيان الإسرائيلي، والقضاء على أي خطر قد يهدده، وخاصة بعد أن أظهر العراق رغبه شديده في أن يصبح قوه اقتصاديه وعسكريه².

سابعاً- تحذير مدير وكالة المخابرات المركزية الامريكية "جورج تينيت" من غزو العراق ودعوة ريتشارد بيرل للانتقام من

العراق

يقول "جورج تينيت قدمت في اجتماع 2001/8/13 ورقه بالغة الأهمية بعنوان (العاصفة الكاملة)، الاستعداد للنتائج السلبية لغزو العراق، وطرحت فيها السيناريوهات الأسوأ التي يمكن أن تقابلنا أثناء محاولتنا تغيير النظام في العراق وبينت في المذكرة، أنه في أعقاب غزو تقوده الولايات المتحدة للعراق، فأنا سنواجه نتائج سلبية فيما يتعلق بالعراق والمنطقة عموماً، وما يتجاوزها لمناطق أخرى، ومن هذه النتائج:

انتشار الفوضى، وتمزق وحدة أراضي العراق، وفقدان للاستقرار سيهدد الأنظمة في الدول العربية الأساسية، واتساع هائل في نطاق الارهاب العالمي ضد المصالح الأمريكية، يغذيه العداء الديني المتزايد في الولايات المتحدة، انقطاعات كبرى في موارد النفط، توترات شديده في التحالف الأطلسي، ويؤكد صحه تحليله حين يقول، وهي المصاعب التي برزت بعد غزو العراق³.

ويكمل تينيت قائلاً: صباح 2001/9/12 أثناء اجتماعنا مع الرئيس بوش فوجئت بريتشارد بيرل وهو أحد الشخصيات التي تحمل لقب الأب الروحي لحركه المحافظين الجدد، ويشغل منصب رئيس هيئه سياسات الدفاع، وهي مجموعه استشارية مستقلة تتبع وزارة الدفاع، يقول في الاجتماع: على العراق ان يدفع ثمن ما حدث بالأمس، العراق يتحمل المسؤولية، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يطرح فيها اسم العراق، بعد فتره فوجئت بأن قرار الحرب على العراق قرار قديم، ومعد سابقاً من

1 د محمد حسون، مرجع سابق، ص336

2 بوعلام العباسي، مرجع سابق، ص 4

3 جورج تينيت، في قلب العاصفة السنوات التي قضيتها في السي آي ايه، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 2007، ص 329

جانب صقور ومحافظين إدارة الرئيس بوش الابن حتى قبل وصولهم إلى البيت الأبيض، ولكن الموعد الذي أصبح فيه غزو العراق أمراً محتملاً سيظل أحد أكبر الألغاز بالنسبة لي وللكتيرين مثلي¹.

ثامناً- اتهام لوكالة المخابرات المركزية بعدم الاستعداد للقيام بمهمة إسقاط صدام الصعبة، والضغوطات التي تعرضت لها: يقول "جورج تينيت": يوجد في إدارة عمليات وكالة المخابرات المركزية مجموعه عملياته خاصه بالعراق، تخطط لجمع المعلومات السرية التي قد يطلب منها تنفيذها داخل العراق أو عند حدود العراق، وفي شهر اب عام 2001، عينت رئيس جديد لهذه المجموعة أمريكي من أصل. كوبي، وكان يقول أنه لا يمكن ازاحه صدام حسين بعمليات سرية فقط. طرح عدد من الكبار المسؤولين في إدارة بوش ومعهم مجموعه من منظريهم في وسائل الإعلام أن وكالة مخابرات المركزية غير مستعدة للقيام بمهمة إسقاط صدام الصعبة، ورغم تفهمي لدوافعهم إلا ان القضية لم تكن كذلك على الإطلاق². وفي سياق عرض الضغوط التي كان يتعرض لها من المحافظين الجدد لدعم حرب العراق يوضح تينيت: كان هناك شكلاً من أشكال الحرب من جانب واحد، هو مكتب تشيني، حيث يدور رحاها بين مكتب تشيني وال CIA اعتراف "ليبي" مدير مكتب تشيني فيما بعد بأنه هو من سرب اسم "فاليري بلام ولسون" العملية السرية بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية إلى الصحافة والإعلام³.

تاسعاً- خطاب ديك تشيني عن أسلحة الدمار الشامل لدى صدام حسين يفاجئ جورج تينيت

يقول تينيت إنه فوجئ بخطاب تشيني أمام حشد من المحاربين القدماء في 2001/8/26 حيث قال فيه: ليس هناك أدنى شك في أن صدام لديه أسلحه دمار شامل، وهو يحشدها ليستخدمها ضد أصدقاءنا وحلفاءنا وضدنا، ثم ختم خطابه قائلاً: هناك كثيرون منا على قناعة بأن صدام حسين سيمتلك سلاحاً نووياً⁴.

عاشراً- إصرار ولفويتز على ربط العراق بالإرهاب

يقول تينيت: لزمنا وقت لكي ندرك مقدار أهمية صلة العراق بالنسبة لبعض من في الإدارة، لكننا تعلمنا بسرعة. فقد ضغط علينا نائب الرئيس وآخرون بقوة في هذا القضية، ولم ترضه أجوبتنا البتة أو ترضي بعض "ربائنا" المنتظمين. فقد كان بول ولفويتز وسكوتر ليبي، على سبيل المثال، لا يكفان عن طلب إجراء تدقيق ومعاودة التدقيق والتدقيق على التدقيق. لم تكن آراء ولفويتز القوية في هذه المسألة سر من الأسرار. بل انه كتب تقريراً لكتاب لوري مايلوري الصادر في سنة ٢٠٠٠، "دراسة الانتقام: حرب صدام حسين غير المكتملة على أمريكا"، وفيه يقول أن الكتاب "يقدم حجة قوية" على أن مرتكب الهجوم على مركز التجارة العالمي في سنة 1993 هو في الواقع "عميل للمخابرات العراقية"، ويتساءل إذا كان ذلك صحيحاً، ما الذي يخبرنا به ذلك عن طموحات صدام حسين في النهاية⁵.

الحادي عشر- مايكل ليدين (منظر الفوضى الخلاقة) في اجتماعاته المشبوهة، مع المعارضة الإيرانية، وكذبه عن

يورانيوم العراق

1 المرجع السابق، ص 21

2 جورج تينيت، مرجع سابق، ص 316

3 المرجع السابق، ص 314

4 المرجع السابق، ص 326-327

5 جورج تينيت، مرجع سابق، ص 354

يقول جورج تينيت: فيما كنا في "السي اي ايه" نركز اهتمامنا على القاعدة، وكان العراق يستحوذ على اهتمام آخرين في الإدارة، بدأ أن مجموعة فرعية ثالثة من الأشخاص تضع إيران نصب عينيها. وقد نبهنا إلى ذلك سلسلة غربية من الأحداث. ففي أواخر كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠١، أبلغ السفير الأميركي إلى إيطاليا، ملفين سمبلر، المسؤول الأول "للسي اي ايه" عن إيطاليا أن مايكل ليدين، وهو ناشط أميركي محافظ، موجود في روما إلى جانب مسؤولين من وزارة الدفاع، يتحدثون مع الإيطاليين عن اتصالات سرية مع الإيرانيين. وكان ليدين قد برز كثيراً في فضيحة إيران الكونترا في الثمانينيات.

في ١٨ شباط/فبراير ٢٠٠٢، أبلغ السفير سمبلر كبير ضباطنا في إيطاليا أنه يتلقى أسئلة من وزارة الخارجية عن زائرين من وزارة الدفاع، تبين أنهما لاري فرانكلين وهارولد رود من أركان دوغلاس فيث. وقال السفير أن ثمة تقارير عن أن الرجلين يتحدثان عن برنامج بقيمة عشرين مليون دولار لدعم الإيرانيين الذي يعارضون نظام طهران. مازلنا لا نملك أية فكرة عن هذا البرنامج، لكن بدأ ما سمعنا عنه كأنه برنامج عمل سري غير مدون في السجلات يسعى إلى زعزعة استقرار الحكومة الإيرانية. ومثل هذا البرنامج قد يكون غير قانوني بدون الصلاحيات المناسبة المعطاة من الرئيس، يتم منحها عبر السي اي ايه عادة، وبدون اشعار الكونغرس. وبدا ذلك يتخذ مظهر كونه "ابن إيران - الكونترا".

في ٦ آب/أغسطس ٢٠٠٣، بعد أن أطاحت الولايات المتحدة بصادم، اتصل ليدين بوزارة الدفاع قائلاً إن مصدراً يعرف بأن كمية كبيرة من اليورانيوم المخصب دفنت في العراق على عمق ثلاثين إلى أربعين متراً تحت قاع النهر، لكن بعضها نقل إلى إيران. وأبلغ ليدين مسؤولاً في وزارة الدفاع أنه أطلع سكوتر لبيي وجون حنا، وهما من مكتب نائب الرئيس، وأنه يعتزم إطلاع أعضاء لجنة الاستخبارات في مجلس الشيوخ، لكنه لن يبلغ السي اي ايه. وتبين أن تلك المعلومات عديمة الجدوى، على غرار معظم معلومات ليدين¹.

الثاني عشر-توريث كولن باول بإيراد أدلة كاذبة عن أسلحة العراق

في 5 فبراير/شباط من العام 2003، وقف باول أمام مجلس الأمن يشير بأنبوب اختبار صغير يحتوي على مسحوق أبيض، ليؤكد أنه يقدم أدلة وصفها بـ "الدامغة" آنذاك عن إخفاء نظام صدام حسين لأسلحة الدمار الشامل، وأنه يواصل خروقاته المادية لقرار مجلس الأمن 1441 (2002). باول الذي أعلن ندمه فيما بعد، قال أمام مجلس الأمن آنذاك، إن العراق لا يستحق منحه فرصة أخرى، ودعا إلى الاستجابة للتحدي الذي تفرضه المسألة العراقية، متهماً نظام صدام حسين بعلاقته مع تنظيم "القاعدة".

غير أنه بعد عامين من الهجوم، عبر باول عن ندمه على هذا الخطاب ومساهمته في الغزو، مؤكداً أن الخطاب الذي ألقاه أمام مجلس الأمن، سيظل "نقطة سوداء" في ملفه، قال: "إنه فعلاً نقطة سوداء لأنني كنت أنا الذي قدمته باسم الولايات المتحدة إلى العالم، وسيظل ذلك جزءاً من حصيلتي².

1 جورج تينيت، مرجع سابق، ص 322-323-325

2 دينا الحمد، "كثبة باول"... الخداع الأميركي الذي هدم العراق، صحيفة الثورة، الرابط:

<https://thawra.sy/?p=438459>

الخاتمة

في نهاية هذا البحث نصل لنتيجة ان التداعيات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتقسيمية التي ما زالت منطقة الشرق الأوسط تعاني منها حتى تاريخ كتابة هذا البحث، لم تكن وليدة الصدفة أو الرغبة الجماهيرية بالحرية والديمقراطية كما روح لها البعض، بل كانت بتخطيط مبيت ومسبق، وعمل دؤوب من المحافظين الجدد في سعيهم لخدمة الكيان الإسرائيلي وإخضاع الدول والشعوب المعادية له، ابتداءً هذا التخطيط من فترة زمنية طويلة سبقت وصول بوش الابن للرئاسة، وتوج بدعمهم لوصوله للرئاسة، ومن ثم التأثير على سياساته لغزو العراق واطلاق مشروعي الشرق الأوسط الجديد والفوضى الخلاقة.

التوصية:

بأخذ الحيطة والحذر، فقد أثبتت الوقائع أن تأثير المحافظين الجدد والفوضى الخلاقة التي نظروا لها، لم تنته مفاعيلها مع نهاية ولاية بوش الابن، بل استمرت مراحلها في الحقب التي تلت ولايته، وما الربيع العربي إلا مرحلة متقدمة من مراحل التفكيك والهدم للفوضى الخلاقة، وقد تكون المنطقة على موعد مع المرحلة الثانية المتقدمة لهذه الفوضى وهي إعادة البناء مع إعطاء هوية جديدة للمجتمعات المنهكة حسب رغبة المتنفذ، والمقصود هنا أمريكا والكيان الإسرائيلي، وما دعوات السلام الابراهيمي عن هذا الطرح ببعيد.

المراجع

-الكتب العربية:

- 1: يوسف العاصي طويل، البعد الديني لعلاقة أمريكا باليهود والكيان الإسرائيلي وأثره على القضية الفلسطينية خلال (الفترة 1948-2009)، الطبعة الأولى، مكتبة حسن العصرية، بيروت، 2014م
- 2: محمد حسنين هيكل، الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق، الطبعة الأولى، الشركة المصرية للنشر العربي والدولي، القاهرة، 2003

- 3: جورج تينيت، في قلب العاصفة السنوات التي قضيتها في السي أي ايه، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 2007
- ### -الرسائل الجامعية:

- 1: بوعلام العباسي، دور المحافظين الجدد في صناعة القرار الأمريكي، رسالة دكتوراه، جامعه الجزائر 3، 2012/2013
- ### -الدوريات العلمية:

- 1: دكتور محمد حسون، دور تيار المحافظين الجدد في السياسة الخارجية الأمريكية (سوريا نموذجا) ، مجله جامعه دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مجلد 34 عدد 1، 2018
- 2: عبد الرحمن الوافي، الفوضى الخلاقة الأمريكية وارتباطها بنبوءات الكتاب المقدس، موقع المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، 23 يونيو 2016

-المصادر الإلكترونية:

- 1: صحيفة الثورة، <https://thawra.sy/?p=438459>
 - 2: الخدمة الإعلامية الإلكترونية لهيئة الإذاعة السويسرية، <https://www.swissinfo.ch/ara/>-
- ### -وثائق رسمية:

- 1) Collection finding aid, pnac, 26 January 1998, 2015_0653_F Clinton digital library
<https://clinton.presidentiallibraries.us/items/show/4879>

-التقارير الرسمية:

- defenses, september 2000 11) the project for the new American century, rebuilding America's
http://resistir.info/livros/rebuilding_americas_defences.pdf,

-الكتب الأجنبية:

- David ray griffen, the new pearl-harbor, olive branch press, united states of America, 2004

